قراءة نقدية لآراء لويس ماسينيون

حول الفكر الفلسفى الإسلامى

أ.د. صابر عبده أبا زيد
أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف
كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى
عميد كلية الآداب بأسوان سابقاً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقديم:

... النص الفلسفى لفلاسفة الإسلام يعتبره البعض نصاً ملتبساً، حيث التأثير والتأثر من قبل فلاسفة اليونان، ومن هنا اعتبر البعض الآخر إن إنتاج النصوص الفلسفية الإسلامية أو التى تمس الإسلام من بعيد أو قريب يجب أن تلتمس بعيداً عن الفلسفة الإسلامية البحتة، وتلتمس فقط من الجانب اللاهوتى منه أو الإلهيات بالمعادل الإسلامى، أو فى علم الكلام حيث الأصالة الفكرية والرؤية التجددية لقضايا جدلية قديمة قتلت بحثاً.. هذا عن فلاسفة الإسلام الذين أطلقوا عليهم الفلاسفة المشاؤون حيث أقتفوا خطى فلاسفة اليونان خاصة المثلث الفلسفى الشهير (سقراط – أفلاطون – أرسطو) .. فماذا عن النص الإستشراقى من قبل فلاسفة أوروبا وأمريكا ؟ يدور موضوع البحث حول المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون وقراءة نقدية لآراؤه حول الفكر الفلسفى الإسلامى بجوانبه المتعددة اللاهوتية والكلامية والصوفية .. إلخ .

وفى قراءة نقدية لأهم ما جاء فى مصادر المستشرق ماسينيون يركز البحث على أهم الملامح الآتية:

أولاً: جذور الأستشراق الأوروبى ما له وما عليه.

ثانياً: لويس ماسينيون – حياته – عصره – مؤلفاته ومدى أهتمام الباحثين به وتأثيراته المباشرة وغير المباشرة ورؤيته الفكرية ..

ثالثاً: الجوانب اللاهوتية فى رؤية ماسينيون وتصوره للدين الإسلامى وكيف أن جهوده تستند بالدرجة الأولى على إنتماء الإسلام للملة الأبراهيمية، والنهج الذى سلكه الحلاج كمتصوف فى تفسيره للإشكالية اللاهوتية للإسلام.

رابعاً: عرض لأهم آراء ماسينيون وجهوده فى الفكر الإسلامى سواء فى التصوف الإسلامى والطرق الصوفية ونقده للحلاج كنموذج، أو فى الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ودراسته للإلهيات وأهتمامه بالحوار بين الشرق والغرب حيث أعطى ماسينيون أهمية كبرى لدراسة المسائل اللاهوتية العامة والتى تتسم بأهمية رمزية وتشكل محطات ومرتكزات أساسية فى تاريخ العلاقات التفاعلية المتبالة بين الإسلام والمسيحية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولاً : جذور الإستشراق الأوروبى :-

تتمثل جهود المستشرقيين بصفة عامة – خلال تاريخهم الطويل – فى أعمال ومؤلفات عديدة، وإسهامات جادة متنوعة تتفاوت بين الأصالة والمعاصرة، وبين الأعتدال والغلو ؛ قام البعض منهم بالتدريس فى الجامعات العربية الإسلامية، وجمع بعضهم وحقق وفهرس المخطوطات العربية الاسلامية تحقيقاً علمياً متميزاً ؛ وترجموا النصوص من العربية إلى مختلف اللغات الاوروبية . وبدأ الإستشراق بدراسة اللغات الشرقية الحية وجمع المعلومات لأغراض متعددة منها بالطبع الهدف العقائدى المحض . ولو رجعنا بالتاريخ إلى الوراء قليلاً فنجد فى أسبانيا مثلاً بدأت الدراسات العربية – فى العصور الوسطى – استجابة لحاجات العمل التبشيرى[1]، ثم فقدت هذه الدراسات كل جاذبيتها مع سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م. واستمرت هذه الدراسات كجزء من الدراسات السامية بصورة عامة فى روما حيث كانت المشيخة الرومانية مهتمة بتوحيد الكنائس الشرقية، ثم جاءت الحركة الإنسانية Humanism فى محاولاتها البحث عن ثقافة عالمية واسعة أسهم فيها المستشرق الفرنسى جوليام، بوستيل [2] Postel, Guillaume – كما أهتم تلميذه جوزيف سكاليجر Scaliger, Joseph [3] بالإستشراق وتخلى عن حماسه التبشيرى، ومع بداية عصر الطباعة، طبعت الأعمال الطبية والفلسفية للفيلسوف المسلم ابن سينا وغيره من فلاسفة الإسلام.

---

1)) وقد قدم لنا د. الجليند قراءة تاريخية موجزة فى كتابه : الإستشراق والتبشير – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – القاهرة ١٩٩٩م - ص٧-١٠، أكد فيها على أنه ليس ممن يقولون إن الإستشراق والمستشرقين يجمعهم حكم واحد وكلهم على رأى واحد فى موقفهم من الإسلام وقضاياه

2)) من المستشرقين الأوائل فى فرنسا، ولد فى ضاحية دولرى شمال شرق فرنسا فى ١٥١٠م، وتوفى فى باريس ١٥٨١م، تعلم عدة لغات وأرسله فرانسوا الأول إلى الشرق لإقتناء المخطوطات فسافر إلى مصر وتركيا وتعلم العربية والتركية، عاد إلى باريس ١٥٣٧م فعينه فرانسو الأول محاضراً وترجماناً ثم أستاذاً فى الكوليج دى فرانس عام ١٥٣٩م، والتى كان قد أنشأها فرانسوا الأول منذ وقت قريب (١٥٣١م)، ومن أهم مؤلفاته : النحو العربى وجمهورية الترك .. أنظر فى ذلك مكسيم رودنسون – الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية – تراث الإسلام – ج١ – تصنيف جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث – ترجمة د. محمد زهير – د. حسين مؤنس – تعليق وتحقيق د. شاكر مصطفى - راجعه د. فؤاد زكريا – سلسلة عالم المعرفة – الكويت – العدد ٢٣٣ – مايو ١٩٩٨م – ص٥٩، أيضاً: د. عبد الحميد حمدان – طبقات المستشرقين – مكتبة مدبولى – القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠٠٠م، ص٨.

3)) هو مستشرق فرنسى فيلولوجى كلاسيكى كبير ولد فى أجان Agen جنوب غربى فرنسا فى١٥٤٠/٨/٤م وتوفى ليون بهولندا فى ١٦٠٩/١/٢١م – تعلم فى جامعة بوردو ثم فى جامعة باريس، تعلم عدة لغات شرقية حية ونشر عدد من الكتب اللاتينية والمعاجم – د. عبد الحميد حمدان – طبقات ٠٠ص٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفى ذلك الوقت كانت هناك اهتمامات وصلات وثيقة بين القوة الثقافية العربية / الإسلامية وبلاد أوروبا وبالذات فرنسا والمانيا وانجلترا وايطاليا[٤] بالإضافة إلى الإتجاه العام نحو تنظيم البحث العلمى، وكل هذا يفسر لنا ظهور شبكة إستشراقية متلاحمة وهكذا تأسس أول كرسى للعربية عام ١٥٣٩م فى الكوليج دى فرانس بباريس Collège de France وكان أول من شغل هذا الكرسى المستشرق بوستيل العالم المستنير الذى يمثل عنصر النهضة خير تمثيل ثم تلميذه سكاليجر، وكثرت كراسى الدراسات الشرقية فلم تعد باريس متفردة وحدها بذلك حيث ظهر رجال فى هولندا والنمسا وبلجيكا وانجلترا وغيرها[٥]، ومن الرعيل الأول لمستشرقى فرنسا نجد : دى هربلو برتيليمى(١٦٢٥م/١٦٩٥م) D'Herbelat, Barthelemy[6] الذى عين استاذاً للغة السريانية فى الكوليج دى فرانس وجاء بعده انطون جالان (١٦٤٦/١٧١٥م) Galland, Antoine الذى ارسله الوزير المالى للويس الرابع عشر – كولبير إلى بلاد الشرق لشراء مخطوطات وتحف قديمة، وكان يحضر دروس اللغات الشرقية فى الكوليج دى فرانس وعين أستاذاً فيها[٧].أما جوستاف دوجا[٨] والذى ندخل به فى بداية الإستشراق فى القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين واللذين يمثلان على الصعيدين الدينى

---

4)) لمزيد من التفاصيل عن أدوار الإستشراق طبقاً للبلاد والأشخاص والإسهامات، راجع فى ذلك : د. نجيب العقيقى – المستشرقون – دار المعارف بمصر – ثلاثة أجزاء – الطبعة الرابعة ١٩٨٢م . والكتاب فيه جهد واضح عن الإستشراق .

5)) مكسيم رودنسون : عالم المعرفة – مرجع سابق – ص٦١.

6)) مستشرق فرنسى من الرعيل الأول ولد بباريس فى ١٦٢٥/١٢/١٤م، تعلم اليونانية واللاتينية والفلسفة فى باريس، ومن أهم مؤلفاته المكتبة الشرقية وهى موسوعة جامعة لما فى الشرق من فلسفة وأدب وإجتماع ..إلخ.

7)) ومن أهم مؤلفات جالان ترجمته لكتاب ألف ليلة وليلة ترجمة حرة تصرف فيها تصرفاً شديداً، لكن بلغة جميلة وتكييف للنص الأصلى وظهرت هذه الترجمة بعنوان :
Les Milles et une Nuits, Contes arabes traduits en Français – Paris – 1704 – 1717
فى إثنى عشر مجلداً والكتاب موجود فى المكتبة القديمة للكوليج دى فرانس حتى الآن، كما ترجم القرآن الكريم وتوجد نسخة منه فى المكتبة الوطنية بباريس - قسم المخطوطات مبنى (B).

8)) جوستاف دوجا Dugat, Gustave مستشرق فرنسى ولد فى مدينة أورانج Oraingе فى ١٨٢٤م ودخل مدرسة اللغات الشرقية فى باريس، وسافر إلى الجزائر ١٨٤٥م فى بعثة علمية وكُلف بتدريس جغرافية الشعوب الإسلامية فى مدرسة اللغات الشرقية وأهم مؤلفاته : تاريخ الفلاسفة والمتكلمين المسلمين فى القرن الثالث عشر الميلادى، ومناظر من الحياة الدينية فى الشرق – باريس ١٨٧٦م ؛ وتاريخ المستشرقين فى أوربا من القرن الثانى عشر حتى القرن التاسع الميلادية وصدر بباريس فى مجلدين ١٨٦٨/١٨٧٠م من ١٦ جزء بعنوان :- Histoire de Orientalistes de l’Erope وتوجد نسخة منه فى المكتبة الوطنية بباريس . (أنظر د. حمدان – طبقات..– مرجع سابق – ص٤٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والايديولوجى – عصر الإزدهار الحقيقى للحركة الإستشراقية، ففى مارس ١٧٩٥م قامت حكومة الثورة الفرنسية بباريس بإنشاء مدرسة اللغات الحية وبدأت حركـــة الإستـــشراق فى فرنسا تتجة نحو إتخاذ طابع علمى على يد شيخ المستشرقين الفرنـــسيين سلفـــستر دى ساسىDesaey, Anteine, Silveste [٩] الذى اصبح إماماً للمستشرقين فى عصره وإليه يرجع الفضل فى جعل باريس مركزاً للدراسات العربية . وفى عام ١٨٩٥ أى بعد مائـــة عام من الثورة الفرنسية ظهرت فى باريس مجلة تمنح جُل إهتمامها للعالم الإسلامى وهى مجلة الإسلام وقد خلفتها فى عام ١٩٠٦ مجلة العالم الإسلامى، ثم تحولـــت إلـــى مجلـــة الدراسات الإســـلامية (وهذه المجلات سوف يرأس تحريرها فيما بعد لويس ماســـينيون)، بالإضافة إلى ذلك فقد عقد أول مؤتمر للمستشرقين فى باريـــس عام ١٨٧٣م، وقد كـــان للمد الإستعمارى فى العالـــم الإسلامى دوراً كبيراً فى تحديد طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق، وخاصة فيما بعد منتصف القـــرن التاسع عشر الميلادى، وهناك أمثلة عديدة عن إرتباط الإستشراق بالإستعمار فى البلاد العربية المختلفة.

وكان لفرنسا دوراً بارزاً فـــى هـــذا المجال حيث عمل كـــثير مـــن المستـــشرقين كمستشارين لوزارة المستعمرات الفرنسية فى شئون شمال افريقيا، وعلى سبيل المثـــال لا الحصر كان المستشرق دى ساسى – الذى ترجم البيان الموجه للجزائرين يُستشار بإنتظام فى جميع المسائل المتعلقة بالشرق من قبل وزارة الخارجية الفرنسية . المهم فى الأمر لقد ظهرت فى القرن التاسع عشر ثلاثة إتجاهات بخصوص جـــذور وأصـــول الإستـــشراق يحددها رودنسون على النحو الآتى :-

---

9))) ولد دى ساسى فى باريس ١٧٥٨/٩/٢١م وتوفى عام ١٨٣٨م، بدأ دروســـه فـــى المنـــزل ودرس الأدب اللاتينى والأدب اليونـــانى وتعرف على يهودى مقيم فى باريس فزاده تضلعاً فى اللغتين العبرية والعربيـــة، عين عضواً بمجمع العلوم لنشر المخطوطات الشرقية وعضواً فى أكاديمية النقوش والآداب ومن أهم مؤلفاته: مختارات عربية، مقامات الحريرى – عرض لديانة الدروز - كليلة ودمنة، ولكن أهم كتبه هو نحـــو اللغـــة العربية فى مجلدين وعنوانه : النحو العربى، لإستعمال تلاميذ المدرسة الخاصة باللغات الشرقية.
Grammaire arabe à l’usage des éléves de l’Ecole Spéciale des langues orientales – Paris – 1990
وعندما اطلعنا عن أصل هذا الكتاب وجدناه معنون أيضاً بالعربية واسماه دى ساسى : التحفة السنية فى علم العربية، وهو موجود بخزانة الكتب العربية بمكتبة الكوليج دى فرانس بباريس، ومـــن عنايـــة الإستـــشراق الفرنسى بأصـــول الثقافة العربية صدور الترجمة الفرنسية لكتاب قطر الندى وبل الصدى La pluie de la Rosée لابن هشـــام الانصـــارى عـــام ١٨٨٧م بباريـــس، بعد أن قام جـــوجيير A.Goguyar بترجمـــة النص الأصلى ونشر بتصدير المستشرق الشهير سلفستر دى ساسى الذى كان استاذاً فى الكوليج دى فرانس ثم أصبح مديراً لها فى ١٨٢٣/١٢/٣٠م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١- شعور نقص وإمبريالى بالتفوق الغربى ملئ بالإزدراء للحضارات الأخرى – وهذا ما نجد ما يشابهه اليوم .

٢- ميل رومانسى إلى كل ما هو غريب يبتهج بالشرقى السحرى الذى كان فقره المتزايد يعطى سحره مذاقاً خاصاً، أو يسميه بالتعلق بالغرائب Exoticism.

٣- تخصص علمى أنصب معظم أهتمامه على العصور الماضية[١٠] وهذا ما سنجده لدى ماسينيون وكوربان وهنرى لاووست، وعلى كل حال فإن الدراسات الشرقية التى شاعت مجدداً وبدت بالفعل وكأنها عصر النهضة زودت أصحاب الرومانسية بكنوز من المعلومات المفيدة عن الشرق وسحره .

ومع ذلك فإن جذور الإستشراق العلمى ترجع إلى اهتمامات حركة التنوير، وكان كل شخص فى أوروبا يرغب فى التعرف بطريقة وافية على لغات الشرق الأدنى والأوسط والشمال الأفريقى وحضاراته – يتوجه إلى مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس[*]. ومن المفارقات أن يكون الرائد الكبير فى هذا المجال هو سلفستر دى ساسى وهو الملكى النزعة، الجانسينى المذهب Jansenist، الوضعى التفكير Positivist، المتمسك بقيم الماضى، والذى كان يمثل ويتصور علوم اللغات ضمن إطار عالمى مجرد، وأصبح دى ساسى أستاذاً لجميع المستشرقين الأوروبين، وأصبحت باريس المدينة التى يذهب إليها جميع الذين يرغبون فى التخصص بدراسة الشرق الأدنى .

فقد ظهر الإسلام - لبعض أؤلئك الذين كانوا ملتزمين بعمق للإتجاه الأيديولوجى اليسارى المناهضين للإستعمار - على أنه فى جوهره يمثل عامل تقدمى، ولقد ظهر هذا بارزاً بصورة عامة لدى جماعة من الكاثوليك اليساريين وعلى رأسهم لويس ماسينيون – موضوع البحث – الذى كان من كبار العلماء المتخصصين الفرنسيين، وكان مشبعاً بالنظرة الصوفية لتاريخ الإسلام كما سنرى.

ثانياً: لويس ماسينيون (حياته وعصره ومؤلفاته) Louis Massignon

١- حياته (النشأة – التكوين – التسفار):

ولد فى ١٨٨٣/٧/٢٥م فى فرنسا بمنطقةNogentsur-Marneبباريس وخلال الفترة من ١٨٩٣م – ١٨٩٩م تعلم فى الليسية Lycées Montaingne et Louis-

---

10)) م. رودنسون - عالم المعرفة – مرجع سابق – ص٧٠/٧١.

(*)وهذه المدرسة أسستها حكومة المؤتمر الثورية Convention فى عام ١٧٩٥م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

le-Grend وفى ١٨٩٤/٤/٢٦م كانت مشاركته الأولى فى الأمور العامة وهو فى هذه السن الصغيرة من خلال مدرسيه ومناقشات زملائه وظهرت عبقريته، وفى عام ١٨٩٨م سافر إلى المانيا والنمسا ولندن أقرب البلدان إلى فرنسا جغرافياً . وبعد عام سافر إلى إيطاليا مع اقاربه (Bolonge, Venise) وفى نفس العام فاز بالجائزة الأولى فى مسابقة الجغرافيا العامة .

وفى عام ١٩٠١/١٠/٢٣م حصل على درجة البكالوريا فى الآداب والرياضيات Baccalauréat lettres-Mathématiques وسافر فى نفس العام إلى الجزائر والقنطرة Alger, El-Kantera [١١]، وفى ١٩٠٢/١٠/١م حصل ماسينيون على درجة الليسانس فى الآداب من أكاديمية باريس La Sorbonne وقضى فترة الخدمة العسكرية حتى ١٩٠٣/٩م فى مدينة Rouen بفرنسا، وفى يناير ١٩٠٤م سافر إلى الجزائر والمغرب وزار طنجة والقصر وفاس ومدينة العرائش Larache، ومن الغريب انه أخفق عام ١٩٠٥م فى شهادة التبريز فى التاريخ L'agrégation d' histoire، ومن ١٩٠٥-١٩٠٦ ألتحق بالدراسات العليا بالكوليج دى فرانس Collège de France قسم اللغات الشرقية بباريس.

وفى إبريل ١٩٠٦م حضر مؤتمر الإستشراق فى الجزائر واتصل فى المغرب بالمستشرق ليون الأفريقى Léon L'afericain[١٢] واسهم منذ ذاك بمجهود وافر فى عقد مؤتمرات دولية للمستشرقين وتاريخ الأديان وساهم فيها مساهمة فعالة . وكان ماسينيون وهنرى ماسبيرو قد طرحا الوظيفة جانبا لعدم التقييد بالأعراف المقررة والروتين بطريقة لاامتثالية Indépendence d'esprit وأصر على تعلم اللغة العربية والأدب العربى وحصل على دبلوم الأدب العربى واللغات الشرقية (العامية)Vulgairé .

وفى ١٩٠٦/١٠/٢٣ أصبح عضواً فى المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة، وسافر فى نفس العام إلى البصرة وبغداد والمحمرة.

وفى عام ١٩٠٧ (من ١٢/١٩ – ١٩٠٨/٦/٤م) سافر إلى العراق فى مهمة علمية للتنقيب عن الآثار القديمة وكانت نتيجة ذلك اكتشافه لقصر الأخيضر[١٣] وظل فى العراق

---

(11) Pierre Rocalve:Louis Massignon et l'islam - collection témoignages et decuments No2 - Institut français de Damas – 1993 – P.149.

(12) Ibid: P. 150

13)) وقد كتب ماسينيون فى عام ١٩٠٩ دراسة عن إكتشاف أثر هام فى العراق وهو قصر الأخيضر بنفس العنوان :

L'château d'Al - Okhaider. CF. Louis. M. Opéra Minora - textes recueillis classe et présntés avec une Bibliographie - par .Y. Moubarac - liban - T.N.3-1956-PP. 28-34

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حتى ٦/٢٨ وسافر إلى بيروت ؛ وفى ٧/١٠ عاد إلى باريس وذهب إلى دير ألفونس السابع للزيارة بتاريخ ١٩٠٧/١٢/٢٥م.

وفى عام ١٩٠٨ بتاريخ ٨/١٥ حضر المؤتمر الدولى للإستشراق فى كوبنهاجن وفى عام ١٩٠٤ بتاريخ ٢/٢١ زار كنيسة القلب المقدس(*) Sacré-Coeur، وتعرف على صديقه شارل فوكو Charles de Foucauld وسيكون بينهما مراسلات ولقاءات خلال فترة الأزدهار والترحال، وبعد ذلك بدأ ماسينيون البحث والدراسة عن الحلاج وشخصيته الصوفية . فى عام ١٩١٠م درّس الفلسفة فى الأزهر الشريف بالقاهرة، وأصبح عضوا فى الـ I.F.A.O. ومن الطريف انه تزى بالزى الأزهرى وتعامل مع عامة الناس بالحب والود وأحب الإسلام والمسلمين ونذر حياته لدراسة احوالهم ؛ ومن هنا نال حب وإعجاب كافة المسلمين فى العالم .

- فى عام ١٩١١م قابل فوكو فى باريس وحضرا قداس القديس أوغسطين الثالث والعشرين، ومنها ذهب إلى أستنبول وعاد إلى باريس مرة أخرى.
- فى عام ١٩١٢م حضر مؤتمر الإستشراق فى أثينا باليونان ومنها سافر إلى ميلانو وعرض المذهب الكلفينى Calvinisme، وهو مذهب كلفان اللاهوتى الفرنسى البروتستانتى، كما حضر مؤتمر تاريخ الأديان والحوار.
- فى عام ١٩١٣م (خلال الفترة من ١٩١٢/١١/٢٥ – ١٩١٣/٤/٢٤) ذهب إلى مصر وهى أطول فترة يقضيها فى مكان واحد خارج باريس – وألقى عدة محاضرات فى الفلسفة العربية فى جامعة القاهرة، وتُعد هذه الدروس من أهم أعمال ماسينيون فى مصر وتشتمل على (٤٠ درس) . وعاد إلى باريس لحضور قداس القديس أوغسطين (الرابع والعشرين) مع شارل فوكو Charles de Foucauld.
- وبتاريخ ١٩١٣/١٠/١٣ طلب الزواج من Marcelle Dansaert البلجيكية الأصل والجنسية، وفى ١٩١٤/١/٢٧ تم الزواج بمباركة الأب دانيال فونتين Fontaine Daniel وبعد عام أنجب أبنه الأول Yves. M..

---

*)) تقع هذه الكنيسة فى حى شمال باريس يسمى Mont martre (دائرة ١٨) وقد قمت بزيارته نظراً لأهميتها التاريخية والأثرية ولإعتبارها من المزارات السياحية الأكثر جذباً للسياحة فى فرنسا ولأهميتها المعمارية والدينية، وتقع على ربوة عالية وهى من أقدم كنائس باريس بعد كنيسة سان جورمان التى تقع على نهر السين، وكذا كنيسة نوتردام – باريس .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- وفى عام ١٩١٦ شارك فى الهجوم على منطقة دوبرمير Dobromir فى الحملة رقم (٥٦) بقيادة الكولونيل كلوزو، وتوج بعدها بوسام الحرب (صليب الحرب) فى إطار الحروب العالمية الأولى.

- وفى عام ١٩١٧م أخبر بموت صديقه فوكو ؛ وسافر إلى روما ومنها إلى باريس فى أجازته السنوية . وفى ٣/٢١ من نفس العام وصل إلى مدينة بورسعيد بمصر فى مهمة سياسية خاصة بأتفاقية سايكس بيكو Accordss, Sykes-Picot، وقد كان ماسينيون عضواً فى اللجنة الفرنسية لتلك الأتفاقية (الفرنسية / الأنجليزية) . وفى خلال يومى ١٦-٥/١٨ من نفس العام ألقى محاضرات فى الدبلوماسية بنورث بروك No'rth Brook ومور – روج Mer-Rouge، مما يدل على مدى أهتمامه بالسياسة بجانب جهود فى مجالات الفلسفة الأخرى.

- فى عام ١٩١٩ أنجب ابنه الثانى دانيال Daniel. M[14] والذى سيولى جُل اهتمامه فيما بعد بأعمال وجهود والده ماسينيون، بل سيكتب مقدمات وتمهيدات لمؤلفات والده[*] وبعض الأعمال التى ستكتب عنه كما سنرى من خلال المؤتمرات التى عقدت من أجله سواء فى باريس أو خارجها .

- فى عام ١٩٢٠ سافر فى مهمة علمية لسوريا لدراسة الحضارات العربية فى معاهدها وعقد عدة مؤتمرات فى دمشق والقاهرة على أعتبار أنه كان عضواً فى المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة.

- فى عام ١٩٢١م أنجب ابنته الوحيدة Geneviève وعمدها الأب بول كلودل Paul Claudel لتصبح (أبنة المعمودية) Filleule[15]

- وفى ١٩٢٢/١/١٧م أرسل خطاب لآسين بلاسيوس Asin Plalacios المستشرق الاسبانى الشهير عندما علم بنبأ وفاة Luis de Cuadra وبعد يوم واحد مات اخيه Fernand. M.، وفى نفس العام ألقى محاضره فى مدينة لوفيان الفرنسية Lauvain عن الإسلام والمسيحية .

---

(14) Pierre, R: Louis Massignon et l'Islam.. PP 154-155.

*) وسوف ينسحب هذا الأهتمام إلى زوجته السيده نيكول ماسينيون التى ستقوم بتخليد ذكرى ماسينيون وتهتم بأعماله ومؤلفاته وتنشئ جمعية لأصدقاء وتلاميذ ومحبى لويس ماسينيون بفرنسا، ولقد تشرفت بمقابلة السيده نيكول وأبنتها فى أخر مؤتمر أقيم فى باريس عن لويس ماسينيون وجاك بيرك ومالك بن نبى خلال شهر يوليو ٢٠٠٣م . وقد أمدتنى بمعلومات وصور هامة عن شخصية ماسينيون.

(15) Pierre. R: Louis Massignon .. P. 158

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- وفى عام ١٩٢٣م ألقى محاضرة عن العقائد عند العرب ثم ذهب فى مهمة إلى المغرب والجزائر وإيران وتونس Tunisie - Carthage .
- وفى عام ١٩٢٤م عمل على تكوين جمعية اصدقاء تشارلز فوكو وفاءً منه لأصدقاءه وأختير عضواً فى الجمعية الملكية الآسيوية بلندن وأكاديمية العلوم فى U.R.S.S وألقى عدة محاضرات ودروس عن العرب والمسلمين .
- وفى عام ١٩٢٥ بدأ فى ألقاء المحاضرات فى الكوليج دى فرانس وكان قد بدأ قبل ذلك بشكل غير منتظم، وسنقوم بترجمة أهم هذه المحاضرات فى ثنايا البحث.
- فى عام ١٩٢٦م أسس مجلة الدراسات الإسلامية (R.E.I) واصبح مديراً لها بعد عام ١٩٢٧م، وعين استاذاً فى الكوليج دى فرانس، وأسس عدة جمعيات للصداقة مع الأقطار العربية والإسلامية.
- فى عام ١٩٢٧م ذهب فى مهمة إلى سوريا (دمشق) Mission a Damas وبعدها سافر إلى لندن لإلقاء محاضرة فى جامعة لندن بعنوان :
- " The Present Condition of the Muhammadan World "[١٦] وعاد ماسينيون إلى فرنسا وألقى محاضرة عن الخبرة الصوفية فى مؤتمر لوفيان Louvain، وزار عدة بلاد فى الشرق الأوسط والشرق الأدنى، وألتقى مع زعماء العالم، وأهتم بالقضية الفلسطينية وأحوال المسلمين فى بقاع الأرض، وفى سوريا نادى بتقدم الدراسات العليا وتطورها والأهتمام بالكوادر العربية فى بلاد المغرب العربى(تونس والجزائر والمغرب) وبطبيعة الحال كانت لمصر والعراق وإيران اهتمامات خاصة بالنسبة لماسينيون، وزار تركيا وألقى عدة محاضرات فى بيروت .
- وخلال عامى ١٩٢٨/١٩٢٩م زار المانيا وألقى محاضرة فى بكين بالاشتراك مع بيكر Becker عن فلسفة التصوف من خلال الوثائق الإسلامية ومنها ذهب إلى أنقرة وسوريا وألقى محاضرات فى جامعة بيروت والجزائر ولوفيان الفرنسية بالتتابع:

Conférences à l'université de Beyrouth
, , ,, Alager (5/3/1929)
, , ,, louvain (21/8/1929)[17]

(16) Ibid : PP: 159-160
(17) Ibid : PP: 162

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقام ماسينيون بتأسيس معهد الدراسات الإسلامية بالإشتراك مع كل من :-

W. Marçais , et H. Godefroy, et Demombynes

ثم أصبح عضواً مقرراً فى اللجنة الوزراية لإدارة الجزائر.

- فى عام ١٩٣٠ألقى عدة محاضرات عن اللغة العربية، وأنشأ مدرسة (مسائية) لتعلم اللغات الافريقية واسماها Équipes sociales Nord-Africaines'd، وفى يونيو من نفس العام زار مقبرة الحلاج شهيد التصوف فى بغداد، ثم عرج إلى الفاتيكان وتسلم مقعد بولانBoullan كعضو مكرس (فى النظام البابوى) وذهب إلى فارس Perse فى مدينة البيضاء al-Bayda المدينة التى ولد فيها الحلاج[١٨] شهيد التصوف الإسلامى.

---

(18) Ibid : P. 163.

تعقيب : والحلاج كما نعلم هو أبو المغيث الحسين بن منصور بن محمد البيضاوى المشهور بالحلاج (٣٠٩/٢٤٤هـ - ٨٥٨م/ ٩٢٢م) – عالم كلام – صوفى – عالم لغة عربية / فارسية / حياته وقتله يمثلان فاجعة كبرى فى تاريخ الثقافة الإسلامية والخبرات الداخلية التى كُتبت فى تاريخ النصوص الإسلامية والتصوف الإسلامى، ولد فى الطور(tûr) بالبيضاء بفارس (إيران) التى كانت مركزاً للعربية رغم فارسيتها (بحسب سيبويه)، قرأ القرآن الكريم وتعلم فى واسط وأخذ يتعلم اللغة بمفرده حتى بلغ الحادية عشر من عمره، وحفظ القرآن الكريم بسرعة فائقة وأختار البصرة، وقابل بعض الصوفية وسكن معهم، وبالذات عمر المكى الذى كان له صلة نسب بالإمام الحسن بن أبا يعقوب الأكتع ودرس الشيعة والسُنة والمعتزلة (كفرق إسلامية) ثم ذهب إلى بغداد، وقابل معلمه الأول الجُنيد بن محمد (شيخ الطائفة) وتعلم منه، ثم حج أكثر من مرة وزار المدينة المنورة ومكة المكرمة ثم زار عدة مدن وقابل أكثر من شخصية إسلامية صوفية . (أنظر فى ذلك :

Louis Massignon : la passion d'Al – Hallâj martyr mystique de l'Islam – Paris – 1922

وقد أعتمدنا فى الترجمة على الطبعة الثانية بعنوان :

La passion de Husayn Ibn Mansùr Hallâj, martyr mystique de l'Islam – exécuté à Bagdad le 26 Mars 922 – E'tude D'Histoire Religieuse (Nouvelle E'dition, 4 tomes – E'di. Gallimard – Paris. 7975. to 2. PP. 390 - 410).

أنظر أيضاً :

- Encyclopédie de l'Islam : Nouvelle E'dition .

Tome No 3. établie avec le concours des prin cipaux orientalistes – par un comité de Rédaction composé de : H.A.R. Gibb, J.H. Kramers , E.lévi-provençal, J. Schacht, L. Massignon, L. Gouthier, P. Kraus. Etc.. sous le patrenage. De l'union académique internationale. Ley de. E.J. Brill – Paris 1960. to 3.PP. 102. 106 - Article (Al-Hallâj).

وأغلب ما كُتب عن الحلاج والتصوف فى الموسوعة الإسلامية بقلم لويس جاردية من مصادر فى الأصل ماسينيونية من منطلق أنه أستاذه المفضل . أنظر أيضاً : بخصوص قصة حسين بن منصور الحلاج ج٢ ص٢٥٣/٢٢١ من كتاب L.M.: Opéra Minora, to.2- PP. 221-253.، والغريب فى الأمر ان الحلاج يُعد تارة من ضمن كبار المتعبدين الزهاد، وتارة أخرى فى زمرة الملحدين طبقاً لتوجه المؤرخ والكاتب وفهم النص وحسب الظروف السياسية وآراء الفقهاء، فبعد أن أتبع الناس أو بعضهم طريقته فى التوحيد والإيمان (أنظر نصوص الحلاج ص٣٥) رغم أنه كان فى البداية ينتقل فى البلدان وينشر طريقته سراً ثم جهر به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- فى عام ١٩٣١م حضر جلسة لويد Leyde عن تاريخ العقائد، وفى نفس العام ألقى محاضرة فى جامعة لندن عن الحركة الحديثة فى الإسلام.
" Modern Mavements in Islam"
- كما أنه بتاريخ ١١/٩ من نفس العام تسلم ثوب الرهبنة من مؤسسة tiers-ordre الفرنسيسكانى، وهى تخص العوام التابعون للقانون الرهبانى (عالمِيَّون) وبعد عام واحد أعلن إيمانه بالرهبنة الفرنسيسكانية وجاهر به .
- وفى عام ١٩٣٣م لقب عضواً فى الأكاديمية العربية للغة (مجمع اللغة العربية) بالقاهرة وكذا هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .
- وفى عام ١٩٣٤ ألقى محاضرة فى متحف Guimet وجمعية الدراسات الإيرانية عن شخصية سلمان بك . وحضر فى نفس العام دورة الإنعقاد الاولى لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وأخذ يداوم على حضور جميع الدورات حتى تاريخ وفاته.
- وبتاريخ ٩/٢ من نفس العام نذر بتشييد البدلية Badaliya la فى دمياط مع مارى كُحيل Mary Kahil .وتخليداً لذكرى الشهيد الحلاج ذهب إلى بغداد لزيارة مقبرته وزار أيضاً كل من كربلاء (مقبرة الشهداء) والنجف الأشرف (مدينة العلماء) والكوفة وعاد إلى بيروت لإلقاء محاضرة عن اللغة العربية، ومنها إلى سوريا حيث أقام فى التكية La ttaquié النصيرية (فرقة إسلامية) وهم فى الغالب من العلويين السوريين الآن . وزار سليمان الأحمد رئيس العقائد النصيرية Shef religieux Nusairis، وفى عام ٢/١٨ سافر ماسينيون إلى إيطاليا وعقد فى روما مؤتمراً عن القرن الـ١٩ والإستشراق الدولى .

بالقول، وقالوا عنه إنه كان يأكل يسيراً ويصلى كثيراً ويصوم الدهر، أتهم بالزندقة والقول بالحلول (حلول الإله فيه) ووحدة الوجود وقوله أنا الحق وهو وهو .. إلخ . وكثرت الوشايات به إلى المقتدر الخليفة العباسى فأقر بالقبض عليه فسجن ثمانى سنوات فى بغداد وعذب وضرب وهو صابر لا يتأوه ولايستغيث بل كان يردد : " أقتلونى ياثقافى .. ان فى قتلى حياتى " فيعبر بذلك عن شوقه العارم إلى لقاء الحق (الله) من خلال الموت الذى يحلم بان يجد فيه طريق محبوبه الأعظم (الله عز وجل)، قطعت اطرافه الأربعة ثم جز رأسه وأحرقت جثته ولما صارت رماداً ألقيت فى نهر دجلة، ومن مؤلفاته : الطواسين – نشرة ماسينيون، وهناك دراسة جديدة عن الطواسين ضمن كتاب د. قاسم محمد قاسم : الحلاج والأعمال الكاملة وغيرها من المصادر والمراجع الصوفية، وقرآن القرآن والفرقان، وعلم البقاء والفناء، والقيامة والقيامات وهو هو وكيف كان وكيف يكون، والديوان .. إلخ – ونلاحظ حتى فى أسماء كتبه نوعاً من الشطح الصوفى وغرابة الكلمات !! وسيكون لنا معه وقفات كثيرة أثناء عرضنا لجهود ماسينيون حيث أنه كرس حياته لدراسة الحلاج.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- فى عام ١٩٣٥م حضر إلى القاهرة لحضور دورة جديدة لمجمع اللغة العربية ومنها إلى دمياط لتجديد نذر البدلية، وبتاريخ ١٠/٢٩ من نفس العام فوجئ ماسينيون بموت أبنه أيف Yves.

- فى عام ١٩٣٧م عقد مؤتمر عن ابن الفارض (المتصوف المصرى) والششترى بالجمعية الملكية الجغرافية بالقاهرة وحضر إجتماعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة خلال الفترة من (١٩٣٧/١٢/١٦ حتى ١٩٣٨/١/٢٧) وزار دمياط والمنصورة (دار إبن لقمان) ثم حضر أيضاً مؤتمر فى جامعة أكسفورد بانجلترا عن كلمات القدرWorld Congress of Faith، ثم زار بيروت وانقرة وروما ثم عاد إلى فرنسا لحضور مؤتمر عن القرآن، وخلال شهر يوليو ذهب إلى جامعة Cambridge لحضور المؤتمر العالمى للمعتقدات الإيمانية ؛ وفى ٩/٣ من نفس العام حضر أسبوع المستشرقين الألمان بمدينة بون، وألقى بحوث عن المتشددين الشيعة فى بغداد فى نهاية القرن الثالث الهجرى (وهو القرن الذى قُتل فيه الحلاج) !!

" Recherches sur les extrémistes Shi ites à Bagdad à la fin du 3e Siécle de l'hégire "[19]

ثم سافر إلى بروكسل لحضور الإجتماع العشرين للمستشرقين، ومنها إلى القاهرة لحضور إجتماعات مجمع اللغة العربية .

- فى عام ١٩٣٩م ألقى عدة محاضرات فى جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) والفترة من ١/٢٥ – ٢/٢ حضر مؤتمر فى الجمعية الملكية الجغرافية بالقاهرة عن الإمام أبو حامد الغزالى ؛ وخلال شهر يوليو من نفس العام حضر المجلس العالمى للمؤمنين فى جامعة السوربون Sorbonne بباريس .

- فى عام ١٩٤٠م، زيارات ماسينيون إلى تركيا وإيران والجزائر .

- فى عام ١٩٤٢م ألقى دروس عن الحضارة الإسلامية فى المدرسة الفرنسية فى وراء البحار[٢٠] l'Ecole de la France d'outre-Mer

- الفترة من ١/١٣ – ١٩٤٣/٣/٤ فى القاهرة لحضور الدورة السابعة للاكاديمية الملكية للغة العربية وحضور ثلاث مؤتمرات مع بعض الأصدقاء المخلصين من أمثال

(19) Pierre. R: Louis Massignon .. P. 168
(20) Ibid : PP. 169-170

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأب جـــورج شحاته قنوانى عن فلسطين وسوريا والسهروردى المقـــتول . ثم ذهب إلى لبنان، وفى بيروت عقد مؤتمر فى المدرسة العليا للآداب، وفى المكتبـــة الوطنيـــة ببيروت ؛ ومنها إلى العراق لزيارة مقبرة الحلاج للمرة الثالثة وكربلاء، وهنـــاك قـــام بالبحث عن سبع مخطوطات من أخبار الحلاج والتى كتبها أحمد حامد الصراف ؛ ثـــم زار إيران (طهران – الأكاديمية الإيـــرانية – خـــورمشهد – الأهواز – مـــشهد ..) ونيسابور وافغانستان (هورات – مقبرة الانصارى {الهروى الانصارى صاحب منازل السائرين } – كاندهار – كابول) وأصبح عضواً فى الأكاديمية الأفغانيـــة وزار عـــدة مدن حول العالم .

- فى عام ١٩٤٦ قضى معظم العام فى روما، وفـــى ١١/١٩ ألقـــى محاضـــرة عـــن الإستقلال والتحليل اللغوى العربى لكلمة إســـتقلال" Analyse en arabe du mot Istiqlal" [٢١] وأصبح ماسينيون عضواً فى لجنة إصلاح التعليم الإسلامى، وظل حتى عام ١٩٥٥م رئيساً للجنة تحكيم الأستاذية للغة العربية.
- فى عام ١٩٤٧ أُختير عضواً فى لجنة الوفاق الفرنسى الإسلامى، وكـــان قـــد أســـس الجمعية الفرنسية الإسلامية فى نفس العام، وفى يوليو من نفس العام خرجت بعـــض المطبوعات المصرية (للأسف) وادعت عليه ظلماً واتهمته بحبه الكاذب للمـــسلمين! ونشر تصريح شديد اللهجة Protestation معترضاً على ذلـــك مـــن قبـــل الـــسفارة الفرنسية دفاعاً عن لويس ماسينيون، وكتبت الأقلام النزيهة فى مـــصر تـــدافع عـــن الرجل ومواقفه مع الإسلام والمسلمين، ثم عين رئيساً لمعهد الدراسات الايرانية وعُين عضواً حتى عام ١٩٦٢م فى لجنة المتاحف القومية.
- وفى عام ١٩٤٨م حضر إلى القاهـــرة لمجمع اللغة العربية وألقى محاضـــرات فـــى جامعة فـــؤاد عن الحلاج ثم ذهب إلى ســـوريا ودمشق وألقى محاضرة فى أكاديميـــة روما بعنـــوان :- Église ste- Catherine de - sienne[22] فـــى عـــام ١٩٤٩م ألـــقى محاضـــرة فى روما عـــن القديـــس سانت لويـــس دى فرانـــس والأراضـــى المقدسة " Terre Sainte " وشارك فى أسبـــوع عقلـــنة المذهـــب الكاثوليـــكى فـــى بـــــاريس Des Intellectuels Cathaliques à Paris بعنـــوان عقائـــد " يـــسوع المسيح والعالم اليوم "، وفى ٥/١٩ سافر إلى الجزائر لمناقشة اطروحة الدكتوراة لأحد

(21) Ibid : PP. 173-170
(22) Ibid : PP: 175-176

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلاميذه وهو Marius canard، وفى ٥/٢٠ ألقى محاضرة عن الحلاج والتصوف الإسلامى فى جامعة الجزائر، ثم ذهب فى مهمة سياسية لفلسطين بتكليف من اللجنة الفرنسية لبحث شئون اللاجئين[٢٣].

- وفى عام ١٩٥٠ رتب فى القاهرة قداس لسانت مارى Sainte-Marie من أجل السلام والتعايش، وزار معسكر اللاجئين الفلسطينين تضامناً مع القضية الفلسطينية التى كان يدافع عنها، وسافر إلى إمستردام لحضور إجتماع اللجنة الدولية لتاريخ العقائد، ومنها إلى باريس حيث اقام فى جامعة السوربون عرض لأهم مختارات William Marçais
- وفى عام ١٩٥١م قدم دراسات يومية فى Sainte-odile عن اللاجئين الأوروبيون ونظام الهجرات الدولية، وفى استانبول حضر مجلس الإستشراق الدولى الثانى والعشرين، ومنها إلى بغداد والقاهرة، وهكذا ظل ماسينيون فى رحلة مكوكية فى بلاد العالم الإسلامى والأوروبى مؤكداً انه يعتبر بحق من رواد الإستشراق والحوار بين الحضارات والثقافات حيث أنه كان يجمع فى عمله وجهوده بين ماهو غربى وماهو شرقى.
- فى عام ١٩٥٢م أكد ماسينيون على مدى أهتمامه بشخصية الحلاج شهيد التصوف الإسلامى فقام بإلقاء عدة محاضرات عن التصوف الإسلامى والإستشراق Mysticisne Musulman et Orientalisme فى الولايات المتحدة الأمريكية وجامعات واشنطن – نيويورك – شيكاغو – كليفورنيا – كمبردج.. إلخ وكذا (جامعة مونتريال) ولندن (جامعة نوتردام) وغيرها.
- فى عام ١٩٥٣ زار نيودلهى وعقد سمنار عن الزعيم الهندى غاندى Gandhi ومنها سافر إلى المغرب وعاد إلى المركز الكاثوليكى للعقلنة الفرنسية وأسس الجمعية الفرنسية – المغربية وعقد مؤتمر فى هذه الجمعية، وعقد مؤتمر اللجنة الفرنسية – التركية فى اللوفر Louvre بباريس، وسافر إلى فلسطين فى مهمة سياسية ومنها إلى القاهرة .
- فى عام ١٩٥٤ عين رئيساً لجمعية اصدقاء غاندى بالهند وزار طهران وهمدان وعقد ندوة عن الفيلسوف ابن سينا Avicenne وللتأكيد على مدى أهتمامه بفلاسفة الإسلام خصص يوم ٥/١٤ يوماً لإبن سينا فى جامعة السوربون وعقد ندوة بعنوان / ألفية ابن سينا Millénaire d'Avicenne، وفى نفس العام ألقى محاضرة فى جامعة

(23) Ibid : PP.177-178

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تولوز الفرنسية عن الدراسة التاريخية للفلسطينين، ولم ينس ان يحتفل فى مؤسسة N.R.E بذكرى وفاة الحلاج فى بغداد، وفى شهر مايو ألقى محاضرة سياسية للأجانب عن الغرب أمام الشرق فى مواقف ثقافيةl'Occident devant l'orient [24]).

- فى عام ١٩٥٥م حضر الجلسة الثالثة والعشرين للإستشراق فى جامعة كمبردج وعاد فى اكتوبر إلى الكوليج دى فرانس وألقى دروسه عن ابن سينا والتصوف ? Avicenne Philosophe, a-t-il "été aussi mystique"، وهل كان الفيلسوف ابن سينا أيضاً متصوفاً؟[٢٥]، وبعد ذلك أحس ماسينيون أنه تغيب لفترة طويلة عن هموم البلدان الأفريقية فزار مدغشقر ونيروبى وغينيا وكمبالا وأوغندا فى جولة واسعة وعاد إلى القاهرة وذهب إلى مدينة الاسكندرية (فى ١٩٥٥/٩/٢) لحضور إجتماع اللجنة التنفيذية للتعاون الإسلامى والمسيحى de coopératin Islamo-chrétiene ومنها إلى روما فى زيارة لمدينة ميلانو ومنها إلى باريس[٢٦].
- وخلال الفترة من (١٩٥٦-١٩٦٣) تركزت حياة وأعمال لويس ماسينيون على زيارات للقاهرة لحضور إجتماعات مجمع اللغة العربية ولقاءات مع بعض أصدقاءه وتلاميذه وعقد عدة مؤتمرات عن الحلاج والتصوف، وشارك فى العديد من ندوات الحوار والإستشراق الإسلامى، وعندما كان يسافر إلى باريس نجده يعقد الندوات عن صديقه Foucauld سواء فى الجامعات الفرنسية أو فى مركز العقلنة الكاثوليكية، وكان يشارك زميله J. Berque فى جلسات اللغة العربية والعقائد، ورغم ذلك نرى أن بيرك لم ينل حظه من الشهرة فى مجال الإستشراق المعتدل على الأقل فى نظر العالم الشرقى الإسلامى بنفس القدر الذى ناله ماسينيون، وهذا الرأى مرتكز على ما جاء فى إحدى مصادر بيرك حيث يقول : " إن ابحاثى التى أنصبت على تحليل المجتمع الإسلامى اتصلت بالحضارة الصناعية، وما يقلقنى بصفة خاصة هى ظاهرة التأخر فى التحول مع التغير فى الإعتقاد والرأى والإيمان بقيمة التحول، والأحرى بنا

---

(24) Ibid : P.183

(25) Louis Massignon : O.M. to. 2 - PP. 466 - 469.

وقد كتب ماسينيون هذا الجزء عام م١٩٥٤ وتحدث فيه عن أصل كلمة التصوف والرمزية والفردية ودراسة التصوف من وجهة نظر علماء النفس، وان ابن سينا كان سابقاً لعصره فى الفكر الإسلامى مثل أرسطو فى الفلسفة اليونانية .. إلخ.

(26) Pierre. (R) : Massignon .. P. 185Louis

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ان نبقى على التحفظ الظاهر فى جميع الأعمال التامة[٢٧]، ويتضح من هذا النص ان تركيز جاك بيرك أنصب على الجوانب المادية بينما كان تركيز ماسينيون فيما يتعلق بالفكر الإسلامى على الجوانب الروحية التى تجد صدى فى قلوب المسلمين. ويذكر بيرك فى موضع آخر علاقته ببعض الشخصيات التى قابلها أثناء تواجده فى دار الإسلام (فى المغرب ومصر) ومنهم الزملاء المسلمين وخاصة الشيخ حميد الله والسيد عبد الجليل وتآلف معهما، وهذه الألفة فى مواضع أخرى أضرت فكره !! كما يدعى ؛ وفى نفس الوقت يؤكد بيرك انه لم يسترح فى البقاء فى هذه البلاد ولم يعتبر نفسه من المستشرقين الذين ظهروا فى القرنين الـ١٩، ٢٠ الذين اخذوا حظهم ووضعهم اللائق وكانوا سعداء الحظ فى هذه البلاد المجيشة والتى يقول عنها :

" Je suis plus mal placé que ces orientalistes du X1Xe siécle, que abordaient ces pays armés [28]" .

أى التى كانت تدار فى مناطقها حروب، ومن ناحية أخرى يقول بيرك لعل سبب ذلك راجع إلى ديانتى المسيحية "، ونرى ان هذا القول من بيرك جانبه الصواب ونتساءل.. ألم يكن ماسينيون مسيحى الديانة ؟! فلماذا لم يجد هو وأرنست رينان ما وجده ماسينيون من حب وود وتعاون من قبل مسلمى دار الإسلام ؟ يمكن لنا أن نرجع ذلك إلى التعصب والعنصرية وإلى تقسيم الإستشراق إلى ما هو معتدل وما هو متطرف، ومنهم بالطبع من أنصف الإسلام ومنهم من ظلم الإسلام. المهم فى الأمر هو كيفية طرح الرؤى وتناول قضايا الإسلام ومشكلاته من خلال رؤية موضوعية دون تعصب ولاعنصرية . ومن هنا كان كثير من المستشرقين من أصحاب الفكر المعتدل وأنصفوا الإسلام، ولاننكر ان الصورة مازالت باهتة، وجُل محاولاتنا الآن هو تصحيح الصورة الإسلامية فى الغرب بكل الطرق والوسائل، ولقد كان ماسينيون من الذين بذلوا جهوداً كبيرة فى سبيل هذا الطريق منذ بداية ظهوره إلى ان توفى فى ١٩٦٢/١٠/٣١م. ويتضح ذلك من مؤلفاته وكتاباته ومحاضراته وأبحاثه وندواته ومؤتمراته كما سنرى.

---

(27) Berque (Jacques) : Normes et valeurs Dans l'Islam contemporain, payot, Paris-1966 - PP.211-212

(28) Ibid : P 210.

ولوحظ أثناء ترجمة النصوص ان جاك بيرك جعل من ماسينيون دنيوى العقيدة أى عامى ليس اكليريكى أى لادينى " "théocratic laique" - Cf. P. 223.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- مؤلفاته ولقاءاته زتأثيراته:

أما عن أهم أعمال ماسينيون وانتاجه الفكرى فهى عديدة ومتنوعة ويصعب على الباحث الجاد المنصف ان يحصرها فى بحث، فهو من المستشرقين أصحاب المواهب المتعددة والأنشطة المتنوعة الجادة، وغزير الأنتاج كما كان كثير التحرك والتسفار ومتشعب الصداقات كما سنرى. المهم فى الأمر استطعت ان أحصر له حوالى ٢٠٧ مؤلفات تتراوح ما بين المؤلفات الكبرى والأبحاث الصغيرة والمحاضرات والدراسات وهناك أبحاث خارج نطاق بحثنا من أدب رحلات ودراسات أثرية معمارية وفن وفلكلور صوفى وأخلاق وسياسة، وقد قام يواقيم مبارك Y.Moubarac بكتابة ببليوجرافيا عن لويس ماسينيون فيما يختص بالأعمال والأبحاث والدراسات من (١٩٠٦ – ١٩٥٥م)[٢٩] بالإضافة إلى المواد Articles التى حررها أو شارك فى تحريرها فى دوائر المعارف الإسلامية (الجديدة والقديمة) والموسوعات الإسلامية بالإضافة إلى التسجيلات الصوتية التى سمعتها فى باريس من خلال جمعية محبى لويس ماسينيون ؛ وهى نفس الموضوعات

---

(29) « Bibliographe, De Louis Massignon, ouvrages et Articles De Revues » L.M.: Mélanges. To. 1-Damas - 1956. PP.4-19.

تعليق :

(وكتاب Mélanges أو متفرقات (مجموع مقالات فى موضوعات مختلفة) لماسينيون نشرت تحت رعاية معهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس والمعهد الفرنسى بدمشق ١٩٥٦م، من ثلاثة أجزاء ضخمة، ويقول Henri Massé فيما يسمى قبل المقدمة A. Propos عن لويس ماسينيون إنها صداقة استمرت حوالى ٤٠ سنة وحتى الآن (تاريخ المقدمة) مستمرة بدون أى تغيير وانه لشرف لى أن أكتب المقدمة (نص الإستهلال) للمتفرقات Mélanges المهداة إلى لويس ماسينيون ويؤكد هنرى ماسو بنوع من الوفاء والأمانة العلمية أن المتفرقات هذه أذن هى مبادرة تتعلق بالمستعرب (لاحظ إستخدام لفظة المستعرب بدلاً من المستشرق، وهناك فرق بين العرب والشرق باجمع) الفقيد المأسوف عليه السيد البروفيسور ليفى بروفينسال E. Levi Provnçal ويواصل هنرى حديثه عن ماسينيون قائلاً : " انه منذ أيام الشباب ألتقى مع ماسينيون وتحدث معه فى موضوعات متعددة وسافر معه إلى قارات (آسيا – افريقيا – أوروبا) وكان يتمنى ان لا يخل بوعده معه فى أى نقطة من النقاط التى تناولها بالدرس أو أى شيئ يعلن عنه، وسافر معه إلى مدن عريقة وخاصة فى ثلاثة مدن هى : القاهرة واستانبول وهمدان en trois villes وألتقى به فى المرة الأولى فى المعهد الفرنسى بباريس، ولقد أظهر هنرى أعمال ماسينيون وبحوثه الأولى قبل عام ١٩١٤ وأعماله عن الحلاج فى بغداد وكتاباته عن الإخلاص والإسناد وديوان الحلاج، وعمله الإستشراقى والأثرى فى القاهرة وبغداد وذكر لنا ثلاثة من أساتذة الإستشراق وهم :-

أ – سيلفان ليفى Sylvain Lévi

ب -جولدتسيهر Gold Ziher

ج-سنوك هيرجرونج Snouck Hurgronje

وكان ماسينيون يعطى لأبحاثه كل الحقيقة والصدق مع كل من استرو وليون الأفريقى

L’Astrée à Léon l’Africain Cf. P. XI

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التى تمت مناقشتها فى كتابه الأعمال الكاملة O.M وسوف أذكر أهم المؤلفات التى أثرت على تطور الفكر الإسلامى وحددت موقف ماسينيون - دون غيره – من الإسلام والفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامى والدراسات العربية بصفة عامة.

ولقد كتب ماسينيون بأكثر من لغة (فرنسية – إنجليزية – عربية – فارسية) وأشترك مع العديد من المستشرقين غرباً وشرقاً فكانت جهوده وفيرة، ورغم ذلك وبالرجوع إلى المصادر الأصلية والنصوص المحفوظة لأصل المحاضرات والندوات والدروس سواء فى الكوليج دى فرانس أو المدرسة العملية العليا للأديان والعلوم الإجتماعية ومكتبة جامعة السوربون (٤)، ومن خلال مقابلاتى مع أفراد أسرته وأصدقاء ابنه دانيال ماسينيون، يمكن لنا حصر أهم المؤلفات الهامة لماسينيون طبقاً للتقسيم التالى:-

أ - المؤلفات الكبرى :- G.O

والأعمال الأربعة الكبيرة لماسينيون هى عن الحلاج : الحياة والفكر لشهيد الحقيقة والتصوف فى بغداد والعالم الإسلامى .

La vie la pensée d'un martyr de la vérité et mystique…

ودراسة وترجمة قصائده ونصوصه الصوفية والبحوث الفلكولورية والعقائد النفسية، فكان كتابة الضخم :

1- La passion de Husoyn Ibn. Mansûr Hallâj, martyr mystique de l'Islam, exécuté à Bagdad, le 26 mars, 922, étude d'histoire religieuse, nouvelle édition, Paris, Gallimard, 1975, 4 volumes:-

A : La vie de Hallâj — حياة الحلاج عن

B: La survie de Hallâj — آثار الحلاج عن

C: La Doctrrine de Hallâj — مذهب الحلاج عن

D: Bibliographie, index — واندكس للأجزاء بيلوجرافيا

الثلاثة السابقة يظهر فيها الصطلحات والأعلام والفهارس والموضوعات[٣٠] التى تمت مناقشتها.

---

30)) وهذا الكتاب الضخم هو فى الأصل رسالة الدكتوراة لماسينيون بجامعة السوربون بباريس ١٩٢٢م وهناك طبعة ثانية منقحة كما أوضحت فى المتن صدرت عام ١٩٧٥م، وهى التى أعتمدت عليها أثناء إعدادى لهذا البحث فى باريس ومصر وهى من أربعة أجزاء صادرة عن أشهر دار نشر فى باريس وهى جاليمار Gullimard.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا عن أهم مؤلف للويس ماسينيون. أما عن أول مؤلف أو باكورة أعمالـــه، فقـــد استيقظ الأهتمام المهنى الأكـــاديمى عنده إزاء الإســـلام أثـــناء رحـــــلته فـــى المغـــرب العربى (الجزائر ١٩٠٤م) وكان أول مؤلف لـــه مكرساً لتاريخ افريقيا الـــشمالية وأتخـــذ عنوانا مطولاً بعض الشئ : " لوحة جغرافية للمغرب خلال الـــسنوات الخمـــس عـــشرة الأولى من القرن السادس عشر وفق ليون الأفريقى ". نشر فى الجزائر فى ٣٠٥ صـــفحة و ٣٠ خريطة وسجل بأسماء القبائل العربية والبربرية والنقود المحلية وعُنون بالفرنسية :-

2-Tableau géographique du Maroc dans les quinze premières années du XVIe Siécle d'aprés Léan l'Africian, Alger, Jourdan 1906. XVI + 305 P. 30 Cartes[٣١))]

وبعد عام واحد من صدور مؤلفه هذا قام ماسينيون بزيارة إلى العراق (١٩٠٨/١٩٠٧) كما ذكرنا من قبل – بنـــاءً على نصيحة من الجنرال دوبيلية De Beylie للتنقيب عن الآثار فى أطلال قصر الأخيضر[٣٢]، وأعد بحثاً مخططاً لهذه المدينة فـــى القـــرون الوسطى (كتصوير إبتكارى) ودوَّن نتائج بعثـــته هذه فى

---

31)) وهذا الكتاب فى الأصل أطروحة ماسينيون للحصول على دبلوم الدراســـات العليـــا DEO فـــى التـــاريخ والجغرافيا، وقد ناقش موضوعه فى باريس ١٩٠٤م، وتعد هذه الدراسة عملاً رائعاً مازال يـــشكل مرجعـــاً أساسياً حتى اليوم بالنسبة للباحثين . أنظر فى ذلك :-

- Daniel Massignon : Presence de Louis Massignon -Hommages et témoignages – textes réunis par. D.M. à l'occusion du Contenaire de L.M. Paris-1987. P. 285.

ويستعرض فى إجماله حياة الحلاج أيضاً ونصوص الديوان الروحى لـــه (النص الفرنسى ص٧) وشخصية سلمان الفارسى والروحانيات فى الإسلام الايرانى، ودراسة المجتمع الأيرانى ثم موضوع المباهلة وحديث الـــسيده فاطمة أبنة الرسول (ﷺ) وزوجة الأمام علىً إمام الشيعة (من ص١٣١/٦٣) ويطرق الكتاب إلى الحديث عن مصير مارى أنطوانيت ملكة فرنسا (أنظر هامش ص ٣٥) وقضية فلسطين والسلام (ص٢٢١) والإســـلام وعناية الإيمان (ص٢٣٢) والصلاة من أجل السلام فى المسيحية والإسلام (ص ٢٤٥)، وبعد ذلك يعـــرض لموضوعات سبـــق أن عرضها فى كتب أخرى مثل : الصلاة الأبراهيمية والتصوف والعرب والإسلام فى مصر وسوريا ، وقضايا الفـــن والتصوف (ص٣٤٩) - يراجع فى ذلك تفصيلاً :

L.M. Parol donnée – Introduction de vincont Monteil – Dossiers des " lettres Nouvelles " Julliard – Paris – 1962 – PP. 389-405

32)) قصر الأخيضر Châteaud d'al-okheider قصر قديم محصن فى محافظة كـــربلاء بـــالعراق أختلـــف الأثريون فى تحديد أصله ويُعتقد أنه لأحد ملوك الحيرة قبل الفتح العربى او أنه لأحد الأمراء العباسيين. أنظر :

L.M.: Château d'al-okheider Relevés archéologiques, le Caire Même 28, Institut Français d'Archéolologie orientale, 1910.

(ومزودة بـــ ٦٣ خريطة)، أنظر أيضاً: د. جورافســـكى (أليكسى) الإســـلام والمسيحية – ترجمـــة د. خلـــف جراد – عالم المعرفة – مرجع سابق – ص١١٩ (هامش المترجم).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مؤلفه الصادر فى ١٩١٠م بعنوان:بعثة إلى بلاد الرافدين . Mission en (Mésopotamie (1907-1908

3-Topographie historique de Bagdad. Epigraphie (Mosquée Mirjân) le Caire Mêm. I.F.A.O. – 1912.ومزودة بـــ٢٨خريطة))

4-Quatre textes inédits Relatifs à la biographie d'al Hallâj[33]

وخلال إقامته بالقاهرة خلال الفترة من (٢٥ نوفمبر ١٩١٢ إلى ٢٤ إبريل ١٩١٣) ألقى ماسينيون عدة محاضرات – فى الجامعة المصرية القديمة (القاهرة الآن) بعنوان / محاضرات فى تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية. فكان هذا الكتاب :-

5- Cours d'Histoire des termes philosophiques Arabes[34]

- ثم دراسة عن الديانات والمصطلحات الصوفية الإسلامية فكان هذا المؤلف :-

6-Essai sur les origines du lexique technique de la Mystique Musulmane[35]

7-Recueil de textes iroédits concernant l'histoire de la Mystique en pays d'Islam[36] .

8-Le Diwân d'al- Hallâj[37] ثم ديوان الحلاج

9-Opera minora, textes recueillis classés et présentés[38]

---

33)) وقد صدر هذا الكتاب فى باريس ١٩١٤، وانطلق منه لأعداد كتابه الضخم (la passion) الذى تحدثنا عنه من قبل، لأن ماسينيون مذ وطئت قدماه أرض العراق للمرة الأولى جذب أهتمامه الصوفى الزاهد الحلاج..

34)) وقد قامت الأستاذة الدكتورة / زينب محمود الخضيرى بتحقيق وتقديم هذا الكتاب بمناسبة الذكرى المئوية الأولى لميلاد ماسينيون، وقام بالتصدير أ.د./ إبراهيم مدكور عن المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية – القاهرة – ١٩٨٣م.، ويقول د. مدكور فى تصديره إنها سلسلة محاضرات ألقيت باللغة العربية فى جامعة ناشئة هى الجامعة المصرية القديمة ألقاها ماسينيون فى العام الدراسى١٩١٢/١٩١٣م وعددها أربعين محاضرة على طلاب من أمثال : منصور فهمى وطه حسين وعلى العنانى وأحمد ضيف وغيرهم ممن أصبحوا فيما بعد فى مقدمة بُناة النهضة الفكرية المصرية المعاصرة، وتدور المحاضرات حول المنطق العربى والمصطلح العلمى والفلسفى فى الإسلام مع أهتمام ماسينيون بالتصوف . (أنظر: تصدير د. مدكور ص (ل) ومقدمة د. زينب محمود الخضيرى ص {ن}) .

أما عن علاقة ماسينيون بغاندى أنظر:

Louis M.: l'hospitalité sacrée textes enedits – presentes par jacques keryell prefeece de Rene Maillaume nouvelle cite – Paris – 1987 – P. 157

35)) وقد صدر هذا الكتاب فى باريس ١٩٢٢، وهناك طبعة ثانية ١٩٦٨م.

36)) وهذا الكتاب يدل على أهتمام ماسينيون بتاريخ التصوف فى بلاد الإسلام . وصدر فى باريس ١٩٢٩م.

37)) وصدر الكتاب ضمن سلسلة المجلة الأسيوية، وموجود بخزانة الكتب العربية بالكوليج دى فرانس بباريس. Journal Asiatique, Janvier – Mars – Paris - 1931

38)) والكتاب مزود ببيليوجرافيا عن ماسينيون من إعداد يواقيم مبارك وصادر عن مركز دراسات دار السلام واختيارات دار المعارف اللبنانية من ثلاث أجزاء عام ١٩٦٣م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

10-Akhbar Al- Hallâj ثم أخبار الحلاج

أو مناجيات الحلاج وهو من أقدم الأصول الباقية فى سيرة الحُسين بن منصور الحلاج أعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه لويس ماسينيون وبول كراوس١٩٣٦ [٣٩]

11-Mélanges L. M[40].

12-Mystique en dialogue – Question de Albin Michel – Paris.

13-Claudel – Massignon. Les grandes correspendances.

وهو عبارة عن مراسلات كبرى بين ماسينيون وكلودل

14-Parole donnée, précédé d'entretions avec vincert Mansour Monteil[41]

15-La Cité des Morts au Caire Qarâka – Darb – al - Ahmar[٤٢])

ب- المؤلفات الصغرى :P.O

١- بعثة أثرية فى العراق، وظهر فى مجلدين بالقاهرة سنة ١٩١٠، ١٩١٢م ضمن مطبوعات المعهد الفرنسى للآثار الشرقية .

٢- هجرات الموتى فى بغداد المحمرة .

٣- المعركة الأخيرة بين الرفاعية والقادرية (وهو عن الفرق الصوفية) .

٤- الحج الشيعى فى بغداد .

٥- دراسات عن مخطوطات فى مكتبة بغداد.

---

39)) والكتاب صادر عن مكتبة لاروز Larose بباريس ١٩٣٦م، وأعتمدنا على الطبعة الثانية ١٩٥٧م . بجزئيه الفرنسى والعربى.

- Akhbâr Al-Hallâj – texte ancien relatif à la prédication et au supplice du Mystique musulman Al-Hosayn. Abn-mansour Al Hallâj. Publié annoté et truduit par L.M, P.K

وفى الطبعة الحديثة أشترك آتين جلسون ولويس جاردية فى هذا العمل من الأكاديمية الفرنسية Études musulmanes Directeurs :Etienne Gilson, et Louis Gardet

(40) Publiés sous le patronage de l'Institut D'etudes Islamques de l'université de Paris et de L'Institut Français de Damas – 1956١٩ والكتاب من ثلاثة أجزاء أنظر هامش ص

41)) وصدر الكتاب فى طبعة الثانية ١٩٨٣م فى باريس دار نشر du seuil وهو كتاب ذو مقام عال فى التصوف والأخلاق أو مقدمة لحياة الرفعة، ورغم إن الترجمة الحرفية للكتاب بمعنى " مُعطى الكلام" إلا أنهم فى باريس يطلقون عليه أسم " العهد "، ويقول صاحب المقدمة إن لويس ماسينيون مات قبل أن يراجع البروفة الأخيرة من هذا الكتاب، ولقد كان هذا الكتاب تحت الطبع عام ١٩٦٢ عندما كان اصدقاؤه وأهله يقومون بتجهيزه لمثواه الأخير بكل الحزن العميق .

(42)) وهو كتاب أثرى عن القرافة (الجبانة) بالدرب الأحمر بالقاهرة صادر عن المعهد الفرنسى للآثار الشرقية – القاهرة – ١٩٥٨م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والأعمال الأربعة الأخيرة ظهرت فى مجلة العالم الإسلامى R.M.M بباريس فى مجلدات متتابعة .

٦- عذاب الحلاج والطريقة الحلاجية، وتعتبر أول دراسة له، وهو عبارة عن بحث صغير فى الكتاب التذكارى المُهداه إلى هرتفج دارنيور ١٩٠٩، ولقد أثنى عليه بمقال آخر نشر فى مجلة العالم الإسلامى (مارس/ إبريل ١٩١٢) بعنوان : الحلاج، الشيخ المصلوب والشيطان عند اليزيدية .

٧- أما أول بحث كبير عن الحلاج هو نشر كتاب الطواسين ١٩١٣م (النص مع الترجمة الفارسية) تبعاً لمخطوطات أستامبول ولندن، بالإضافة إلى كتابة مادة الحلاج فى دائرة المعارف الإسلامية، وكذا مادة الحلول وهى تتصل بالحلاج والتصوف.

٨- كتاب مجموع نصوص غير منشورة تتعلق بتاريخ التصوف فى بلاد الإسلام – باريس ١٩٢٩م.

٩- كتابه الهام عن البيرونى والقيمة الدولية للعالم العربى ١٩٥١م

١٠- ثلاث دراسات عن سلمان الفارسى، و المنحنى الشخصى للحلاج، وقصة المباهلة قام بترجمتها د. عبد الرحمن بدوى، وظهر الكتاب بعنوان : شخصيات قلقة فى الإسلام – طبعة وكالة المطبوعات - الكويت.

١١-الإسلام والحضارة العربية .

١٢-الإسلام وشهادة المؤمن ١٩٥٣م.

١٣-تاريخ تأليف رسائل إخوان الصفا ١٩١٣م.

١٤-كتاب اليزيدية المقدس ١٩١١م.

١٥-أصول عقيدة الوهابية، وفهرس بمصنفات مؤسسها ١٩١٨م[٤٣].

ج - المحاضرات والدروس والأبحاث والسمنارات :

خلال سنوات ١٩١٩/١٩٥٥م قدم لويس ماسينيون عدة محاضرات ودروس وأبحاث وسمنارات وما إلى ذلك فى عدة أماكن مختلفة داخل باريس وخارجها، وسنذكر أهمها ومن أمثلة ذلك ما قدمه فى **الكوليج دى فرانس** والذى أصبح فيما بعد مديراً لها، وهى كما نعلم من أقدم الأكاديميات العلمية فى الأبحاث والدراسات العليا، ولقد أنشأت بباريس عام ١٥٣١م، ولقد قمت بتصوير أهم هذه البحوث بعد الإطلاع عليها فى باريس، ونذكر منها أهم الموضوعات الآتية :-

(43) L.M.: Mélanges – to. 1 – PP. 27-28

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أ – تكوين النسق الإسلامى – رجال وأفكار فى صحافة المسلم المعاصر.

- La formation de l'ordre Musulman – Hommes et Ideés dans la presse Musulman contemporaine[44].

ب- النسق الإجتماعى للمسلمين بعد الحرب، إندماج البلاد الإسلامية مع الإستعمار البريطانى والإمبرالية !!

– L'ordre social musulman d'après guerre – les pays Musulmans incorporés à l'empire.

ج- وجه الإسلام الفعلى – مع بيان وضع المجتمع الإسلامى فى محيط فرنسا .

– Le front musulman actuel – avec l'état social des pays musulmans.de zone francais[45].

د – كما قدم ماسينيون بيان إحصائى لبلاد المسلمين أثناء عرضه لمسألة العمالة فى بلاد الإسلام .

- La question ouvrière en pays de l'Islam, Inventaire statistique des pays musulmans.

.. وكذا أثناء عرضه للمؤسسات الإسلامية للعمل والمهن الخاصة فى بلاد المغرب

- l'organisation Islamique du travail et des métiers, spécialment au Maroc[46].

هـ-ومن جهود ماسينيون نجد محاضراته عن الإسلام والمسيحية فى إتصالاتهم الثقافية، مع دراسة عن العلمنة فى الإسلام وقوائمه .

- l'Islam et la chrétienté dans leurs connexions culturelles, la laïcisation de l'Islam et ses facteurs.

ورصده لتاريخ الدفاع الدينى للمسلمين فى الداخل والخارج مع تقديم مصطلحاته النظرية والندوات والمجادلات الدينية، وبيَّن فى محاضرة أخرى جهود رفقاء العمل فى البلاد الإسلامية .

- L'Histoire de l'apologétique musulmane, en dedans et en dehors, sa terminolgie théorique et les colloques des controversistes ; conpagnonnages douvriers en pays Islamiques[47]

و - ومن المحاضرات والدروس الهامة لماسينيون نجد ما كتبه عن الوهابية (من خلال الدعوة التى قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية متخذاً الدرعية مركزاً له) وعودة أو إعادة تشكيل الحنبلية فى ذاكرة الإسلام (السلفية)، أى أن فرقة

(44) C.R. Annuaire du Collège de France, 20e anneé- Paris – 1919-1920-PP.78-79.
(45) Ann, 21e, anneé P.70, Ann, 22e -P.92
(46) Ann, 23e, anneé P.66, C.F. section 1, 1923 et 24e , annuaire et Enquete
(47) Ann, 28e, anneé P.82 – texte a parautre, et Ann, 28e anneé P.42

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحنابلة تشكلت فى ثوب جديد لدى الوهابيـــة وأعـــادت للـــذاكرة الإســـلامية والعـــالم الإسلامى فرقة السلفية وخاصة فى السعودية الآن .

- Le wahhabisme et l'essai de réforme hanbalite des momeurs dans l'Islam contemporain (salafiyya).

ثم عرض لنا أهم المميزات النفسية للتصوف الإسلامى، وذلك بعـــد ظهـــور النـــصوص المخطوطة غير المطبوعة والوثائق الجديدة .

- Les caractéristiques de la psychologie mystique musulmane, d'après des textes inédits et des documents nouveaux.

وبما يمثل الحب فى التصوف الإسلامى مقام عال، قدم لنا ماسينيون الإتصالات والنزعات الصوفية بواسطة الحب والأنس فى تاريخ الفكر الإسلامى.

- Contacts et conflits de la mystique avec l'amour courtois dans l'histoire de penseé musulmane[48].

ز - ويعود ماسينيون ويقدم لنا درساً عن الشيعة أثناء عرضه للفرق الإسلامية، مع تقـــديم نسق المذهب ومشروعية مجتمع الأقلية، ويتضح لنا من هذه المحاضرة ان ماســـينيون عد الشيعة من الأقلية، ومن هنا تعاطف معهم مثلما فعل زميله هنـــرى كوربـــان فـــى دراساته الإيرانية مع شيعة إيران .

- Le Shi'isme à travers les siécles : rôle doctrinal et social minarité légitimiste[49].

د- مدى الإهتمام بماسينيون :

بعد أن سردنا بإختصار أهم أصدقاء وزملاء وتلاميذ ومحبى ماسينيون، يجدر بنـــا ان نعرض لأهم ما كُتب عنه للدلالة على مدى الإهتمام بهذا المستشرق الفذ الـــذى قـــــدم أبحاثاً أكـــثر تميزاً فى مجال الفكر الإسلامى بصفة عامة، ومجال التـــصوف الإســـلامى بصفة خاصة ودراساته عن الحلاج بوجه أخص حيـــث الـــشفقة والرحمـــة والتعـــاطف والإنجـــذاب. La Compassion, la sympathie، والإســـتبطان وإعـــادة التـــشكيل الإستبطانى وخصوصاً ما يتوافق مع التصوف والتأويل والبحث فـــى الأصـــول الإثنيـــة (العرقيـــة) والـــصوتيات (فـــى اللغـــة) أو المـــنهج الفينومولـــوجى للعلـــم الإسلامىPhénoménologique كما سنرى فى تحليل آراؤه .

ومن المعلول أنه أحياناً ينصب الإهتمام بالمفكر والفيلسوف بعد رحيله كنـــوع مـــن الوفاء والولاء، والأجدر بالمفكر ان يرى نتيجة جهوده وهو بين ظهرانينا ليقدم الأفـــضل ولكن تلك سُنة الحياة وتقلبات البشر.

---

(48) Ann, 30e, anneé PP. 68-69.
(49) Ann, 31e, anneé PP. 90-91.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعد رحيل ماسينيون فى ١٩٦٢/١٠/٣١م، وبتاريخ ١٩٦٣/٢/١٠م تم عقد جلسة خاصة واقيمت حفلة تذكارية إكراماً للويس ماسينيون فى جمعية محبى غاندى برئاسة المفكر Olivier lacombe[50]، وهناك بلا شك كثير من الكتاب شرحوا منهج ماسينيون من خلال الشهادات والولاءات التى أقيمت له منذ وفاته فى باريس وفى القاهرة وفى طهران وفى الذكرى المئوية لوفاته (١٩٨٣م).

وهناك العديد من الأعمال والأهتمامات التى نالها ماسينيون من اصدقاؤه وتلاميذه ومحبيه من أمثال لويس جارديه وهنرى لاووست وواود بيرج وبيرك وكوربل وآسين بلاسيوس وغيرهم .

وأهم تلك الشهادات الولائية التى كتبت بمناسبة مئوية ماسينيون وجمعت بواسطة ابنه دانيال ماسينيون نجد :-

- Presen ce de Louis Massignon – Hommages et timaignege – textes réunis par Daniel. M. à l'occusion du centenaire de l.M[51].

ونجد أيضاً كتاب عن لويس ماسينيون والتلميحات المحرضة – وهو عبارة عن عدة أبحاث متنوعة ومنها مقال لماسينيون ويحمل نفس العنوان الأساسى أضيف بعد وفاته.

- Louis M., les allusions instigatrices[52].

---

(50) Pierre (R) : CF. Ibid P. 193

51)) الكتاب عن حضور وتأثير لويس ماسينيون من خلال شهادات الولاء بمناسبة مئوية ماسينيون جمعت بواسطة أبنه دانيال ومساهمة من معهد العالم العربى بباريس الذى مازال يقدم إسهامات وندوات ومؤتمرات عن لويس ماسينيون وغيره من المستشرقين والمهتمين بالإسلام، وقد حضرت أكثر من ندوة ومؤتمر أثناء تواجدى فى باريس فى هذا المعهد، وقد شارك فى هذا الكتاب نخبة من العلماء والفلاسفة والنقاد تقديراً لجهود ماسينيون.

Ouvrage publié avec le concours de l'Institut de monde Arabe. Editions maisonneuve et larose – Paris – 1987

ونذكر منه فرانسوا دولا بيه وأندريه مايكل وآيف بورت ود. إبراهيم مدكور ود, سيد حسين نصر ومختار امبو من اليونيسكو ود, محيى الدين صابر من الايسيسكو وهى منظمات دولية، وغيرهم من أساتذة جامعة السوربون والكوليج دى فرانس والمدرسة العملية للدراسات العليا من أمثال:

Roger Arnaldez - Herbert Mason.Francais de laboulaye , Andre – Miquel Yves la porte, Ibrahim Madkour – Seyyed Hessen Nasr – Jacques Berque – Louis Gardet– Ahmadou Mohtar M'Bon (l'unesco) – Mohiddine Saber El'Alecso) الايسيكوRoger Arnaldez . Herbert mason

(52) Louis Massignon: Les allusions instigatrices Fata-Morgana – Paris – 2000

وهى طبعة جديدة من أحدث الكتب عن ماسينيون وفيه مقالات عديدة منها : ماسينيون وخداعات لاتزول لصلاح ستيته، ويمكن ترجمتها بالمكايد : Massignon et les pièges de l'ineffable ويذكر المؤلف إن لويس ماسينيون لم يكن يحب دون شك – علم الجمال !! وهى بأى حال من الأحوال غير أساسية له فى نهاية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما قامت منظمة الفرانكفونية بتقديم مجموعة من الأبحاث عن ماسينيون بـــاللغتين الفرنسية والأنجليزية بتقديم د. بطرس بطرس غالى عندما كان أميناً عاماً للمنظمة ومازال وصدر الكتاب بعنوان / لويس ماسينيون فى قلب زماننا .

- Louis. M. au cour de notre temps – sous la directions de Jacques Keryell[53].

وقـــدم دانيال ماسينيون ايضاً ســـرداً لحياة والـــده فى الكتاب الضـــخم الذى يحمل عنوان : L'Herne Massignon[54]، والطريف ان لويس ماسينيون يظهر على غـــلاف الكتاب وهو يتـــزى بالـــزى الأزهرى مما يدل على انه كان محبـــاً للإســـلام وللأزهـــر الشريف، ومن المؤلفات التى كُتبت من أجل ماسينيون كتاب بعنوان / لـــويس ماســـينيون وحوار الثقافات – نصوص علق عليها ابنه دانيال ماسينيون

- Louis Massignon et le Dialogue des cultures – textes réunis par Daniel M.

وقدم لها أيضاً د. بطرس بطرس غالى بالأشتراك مع منظمـــة اليونـــسكو بفرنـــسا وجمعية محبى لويس ماسينيون بباريس والمعهد الدولى للنصوص بباريس والكتاب عبارة عن مجموعة من الأبحاث الهامة توضح لنا آراء لويس ماسينيون حول الإســـلام بـــصفة عامة واللغة العربية والقرآن الكريم فى فكر ماسينيون، وماسينيون والحوار الإســـلامى / المسيحى وغير ذلك من الموضوعات التى تدخل فى محيط أهتمامه .

- وفى عام ١٩٨٧م كتب جاك كوريـــل Jacques Keryell كتاب أغلب مواده عن مصر وزيارة ماسينيون لها وما لاقـــاه من ضيافـــة ومراســـلاته مع مـــارى كحيل وإنشـــاء البدلية فى مدينة دمياط ، وأجمل ما فى الغلاف صورة نهـــر النيـــل الخالد وعنوانه :

الأمر لذاتها، ولكن إستخدمها أثناء نقده وتبكيته لقصائد الشاعر الصوفى المصرى إبن الفارض وتحدث عـــن ابن عربى وعفيف التلمسانى .. – راجع ص ٩، ١٠، ١١، ومن العجب ان نجد مقالاً بنفس عنوان الكتـــاب لماسينيون يؤكد فيه إنه يحب الجمال وعلم الجمال، وإنه لايوجد أى قومية ولا أى بلد أكثر من بلاد الإســـلام يحتاجون إلى الجمال ويقدرونه مستنداً إلى الحديث الشريف : " الله جميل يحب الجمال ".

أنظر ص ٢٤ ." Dieu est beau et il aime la beaute "

53)) والكتاب صدر فى باريس عام ١٩٩٩ - e'di: Karthala - Paris 1999

(54) Ce Cahier a été dirigé par jean Français six - Paris-1962

والكتاب حجمه ضخم تجاوزت صفحاته خمسمائة صفحة، وساهم فى التحرير أكثر من ٦٠ باحث من جميع الدول الأوروبية والجامعات المختلفة اشهرهم جابرييل بوتير وهنرى كوربان وإبراهيم مـــدكور ومحمـــد عزيـــز الحبانى وبيير روتت وجاك بيتى .. إلخ إنظر ص ١٠/١١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

l'hospitalité sacreé[55]، وأصدر لوكور Lécoeur دراسة عن التعمق فى الروحانيات عند شارل فوكو وماسينيون بعنوان : إحتفال الآلة[٥٦] أو الشعائر الصوفية التى تقام بإستعمال الآلات الموسيقية أو ما يطلق عليه فى التصوف الإسلامى (السماع الصوفى) وقدم مركز الدراسات والبحوث الإجتماعية بباريس C.Société.AS. بحثاً عن التصوف الإسلامى بعنوان: عصف الريح فى الإسلام[٥٧] Le souffle dans l'Islam وفيه ذكر عن ماسينيون وعلاقته بالحلاج والتصوف، كما كتب عنه M.Barrès تحقيق عن بلاد الشرق[٥٨]، وفى عام ١٩٢٨م صدرت دراسة فى بيروت باللغة الفرنسية عن التعليم والإرشاد فيه ذكر عن ماسينيون أعدها G.Bounoure.[٥٩]

- ونجد أيضاً Jean Mencelen الذى يذكر فى كتابه عن لويس ماسينيون انه رجل ذو مقام عال له تلاميذ متميزين فى مجال الفكر الفلسفى والصوفى الإسلامى والإستشراق والحوار، وعدَّد لقاءاته مع كل من ليون الأفريقى وبيير روش وهاى سمانى وغاندى ومارى كُحيل، ورصد زياراته لمصر والعراق ودمشق ودفاعه عن الإسلام والتصوف وتفسيره لأهل الكهف (السبع نيام) وأصحاب المباهلة وفرقة الشيعة، كما تحدث المؤلف عن سنوات الحرب فى الخليج Les anneés de guerre والشرق الجديد[٦٠].
- وأخيراً نعرض لأحدث المؤلفات التى تناولت ماسينيون بالحديث وخصته بصفحات كثيرة وهو كتاب (L'islam) الإسلام – لأنا مارى دولكامبر Anne-Marie Delcambre وقد قدمت دراسة جديدة عن الإسلام والدين والعقيدة وتناولت سيرة الرسول الكريم (ﷺ) وعلاقته بالقريشيين وأصول الإسلام والقرآن الكريم والتوحيد، وذكرت فيما ذكرت أسماء مستشرقين على إختلاف التوجهات والميول من أمثال: Roger Arnaldez , Louis Guredet، وغيرهما كثير، وبالطبع توقفت عند ماسينيون فى معرض حديثها عن الإسلام والتصوف والشخصية الصوفية الأكثر جدلاً

(55) Préface de René voillaume, textes inédits présentés par Jaques Keryell nouvelle cité- Paris- 1987
(56) Lécoeur (Ch) : Le rite et L'outil – Paris - Alcan – 1939 – PP.334 –335.
(57)) وقد صدرت الدراسة الأولى فيه عام ١٩٤٤ بباريس٠
(58) Barrès (M): Enquête au pays du levant – Paris – 1923.
وصدر الكتاب من جزأين – راجع جزء ١ – ص ١٢٣، جزء ٢ – ص ١٥
(59)) Bounoure (G): Bull, Enseignement – Beyrouth. V1-4-1928.
(60) Mon celon (Jeàn) : Louis Massignon Christion Destremau a la mémoire de Sayyed Bahaudine Majrouh, librairie polon – Paris - 1994

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" الحلاج " وتصف ماسينيون بانه مستشرق كبير لعب دوراً هاماً فى الإفصاح عن سر الحلاج le grand orientaliste، والنظر إلى التصوف الإسلامى نظرة جديدة[٦١] من خلال رؤية ماسينيون للحلاج شهيد التصوف والتى شكلت تأثيراً مباشراً فى كل كتاباته.

هـ- تأثيرات مباشرة فى رؤى ماسينيون الفكرية :-

كل فيلسوف تتشكل رؤيته بتأثير من العصر الذى عاش فيه والظروف التى نشأ فيها ومن خلال قراءاته المتعددة إلى أن يقع بصره على شخصية معينة، وواقعة محددة تغير رؤيته تماماً. ومن خلال سردنا لحياة ماسينيون ومؤلفاته ولقاءاته وصداقاته أتضح أنه تأثر بكل أصدقاء والده، وكان شغفه الأول دراسة الجغرافيا فى شبابه .. فكيف حدث التحول الفكرى فى شخصية ماسينيون ؟

فى مرحلة الشباب تشكلت رؤية ماسينيون تحت تأثير روايات الكاتب الكاثوليكى ليون بلوا وصداقته مع رومانسى السيف والإنجيل ى.. بيشارى، وبعد فترة قصيرة ربطته صداقة عميقة مع قسيس كاثوليكى وعالم مستشرق هو شارل دى فوكو (١٩١٦/١٨٥٨م) [٦٢]Ch. De faucauld، ومع الفيلسوف التومائى الجديد جاك ماريتان J.Maritain ومع الشاعر بول كلوديل Paul, Claudel (١٩٥٥/١٨٦٨)[٦٣]، كل هؤلاء الأشخاص الذين أرتبط بهم ماسينيون – مع ما سبق ذكره – ألتقى بهم وصادقهم وراسلهم، وربما عمل مع بعضهم وسافر معهم كما أوضحت – رغم أنهم مختلفى السمات والآراء والأفكار والمشارب والأتجاهات – فإنهم كانوا يلتقون من خلال سمة عامة تشكل العامل المشترك بينهم وتتجلى فى أن كل واحد منهم تعرض فى حياته لأقصى أشكال التوتر والإضطراب والتأثير المباشر وعانى شدة نفسية كبيرة فى تحوله إلى المذهب الكاثوليكى، فتركت هذه المعاناة النفسية / الذهنية بصماتها الواضحة العميقة على إبداعاتهم ورؤاهم الفكرية . أما تأثير هؤلاء الأشخاص فى الشاب ماسينيون فقد كان

---

(61) Delcambre (Anne -Marie): L'Islam " il faut recommander cette excellente initiation" - Nouv. Études –R.E.P. E'Res la Decouverte – Paris – 2001- pp.6-25

62)) هو ضابط فرنسى زار بعض مناطق المغرب العربى فى رحلة استكشافية أعتزل العالم وعاش متنسكاً فى صحراء الجزائر (الطوارق) وفيها قتل . (أنظر فى ذلك : د. جورافسكى : الإسلام والمسيحية – مرجع سابق – ص١١٨ – هامش المترجم).

63)) هو ضابط فرنسى زار بعض مناطق المغرب العربى فى رحلة استكشافية أعتزل العالم وعاش متنسكاً فى صحراء الجزائر (الطوارق) وفيها قتل . (أنظر فى ذلك : د. جورافسكى : الإسلام والمسيحية – مرجع سابق – ص١١٨ – هامش المترجم).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عظيماً[٦٤]، ويرى الدارسون ان مؤلفات ماسينيون وإسهاماته العلمية وجهوده الفكرية (درساً وتحقيقاً وتأليفاً) ومنطلقاته الروحية ونشاطاته السياسية، مهدت الطريق للتحول الكاثوليكى الجذرى بشأن الموقف من الإسلام . ورؤية الإسلام عند ماسينيون كانت فى الجزء الأكبر منه تحديداً للمنهج الذى أعتمده للدراسة وتصوره للإسلامولوجى l'Islamalogie وأحدث ثورة شبهها Pierre.R بالثورة الكوبرنيكية La Révalution Copernicienne فاتخذها عنواناً جانبياً فى كتابة ليقدم رؤية فى عمله عن التصوف الذى أرتأه ماسينيون فى مؤلفه الضخم عن الحلاج والتصوف الإسلامى، وقد تعامل معه بنوع خاص حسب عبارة التصوف، وماسينيون بصفة خاصة فى جميع أعماله عن الإسلام كان كالقاضى العادل فى البحوث التاريخية والمشكلات الإجتماعية وتحليله للتقارير السياسية فى الشرق والغرب[٦٥] . وبصورة عامة يمكن القول إن الجهد العلمى الضخم للويس ماسينيون (مؤلفات – محاضرات– دروس – ندوات – لقاءات) فى ميدان الدراسات الإسلامية يمكن تقديره بصورة مناسبة وصحيحة فقط فى سياق رؤيته الدينية – فالتحول الجذرى للكاثوليكية صاحب معه تحول جذرى لدراسة روحانية الإسلام من خلال صدمته الأولى فى بغداد أثناء تنقيبه على الآثار – بقصة الحلاج – فتعاطف معها ولم يتركها حتى وفاته !!

ففى هذا المجهود العلمى الكبير تتجلى بشكل عجيب سمات العالم واسع الإطلاع والتبحر والعمق وبأكثر من لغة، ولقد أختزن فى عقله المنظم ومنهجه الممنطق معارف عميقة يضاف إليها تنوع واسع فى ميادين الإستشراق والحوار وهى التى تمتزج أو تتوحد بتوازن عظيم مع مشاعر نسكية / رومانسية / دينية تتغلل فى ثنايا مؤلفاته كلها كما رأينا – وفى تحليل بعضها من خلال نقد النص الداخلى كما سنرى فى الجوانب اللاهوتية .

ثالثاً: الجوانب اللاهوتية فى رؤية ماسينيون :

يمكن لنا أن نفهم الجوانب اللاهوتية فى رؤية ماسينيون للإسلام من مقولة الإيمان أو نفيه، ويمكن – على حد قول د. جورافسكى – الإتفاق مع تلك العناصر والتفسيرات اللاهوتية أو عدم الإتفاق، ومع ذلك فإنه لابد من جلائها وتوضيحها لأنه دون هذا الأسلوب لايمكن فهم توجيهات الفكر الكاثوليكى المعاصر – الذى يحمله ماسينيون، ومواقفه حيال الإسلام وخلافاً للنهج العدائى المسبق من طرف أغلبية علماء الإسلاميات

---

64)) د. جورافسكى : الإسلام والمسيحية – مرجع سابق – ص ١١٨.

(65) Pierre Rocalve: Louis Massignon et l'Islam - pp. 99-100

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الغربيين، فإن ماسينيون بنى موقفه تجاه الإسلام والفكر الإسلامى إنطلاقاً من فكرة الإتصال أو الإرتباط الدينى بين المسيحيين والمسلمين، فى العيش المشترك[٦٦]، ومن هنا فماسينيون كان ذا فضل ريادى فى البحث عن التقريب بين مصالح الأوروبيين والمسلمين فى مجال الإتصال واللقاء والحوار الدينى وتأسيس الجمعيات الفرنسية / العربية للتبادل الثقافى كما ذكرت سالفاً. بالإضافة إلى أنه كان حليفاً للمناضلين من أجل إستقلال شعوب الشرق الأدنى وفيتنام وتعرض للسجن أكثر من مرة بسبب إحتجاجه ضد الحرب الفرنسية الجزائرية، وقام بنشاط تنويرى ضخم تمثلت فى كل ما ذكرناه من مؤلفات ومحاضرات ومؤتمرات ولقاءات.

ولقد كان ماسينيون حريصاً على وحدة الشخصية الإسلامية، وقد أثارت مخاوفه مظاهر التصادم بين الحضارة الغربية المعاصرة والمجتمع الإسلامى التقليدى التى كان من نتائجها أن المجتمع الإسلامى أصبح أمام خطر حقيقى يتجلى فى فقدان شخصيته المستقلة وذاته ويذوب فى العالم (وهى التى نسميها اليوم بالعولمة والهيمنة والسيطرة والأمركة .. إلخ).

ويمكن لنا القول إن ماسينيون يختلف عن زملاؤه ومعاصريه بل أحياناً عن تلاميذه من المستشرقين وعلماء الإسلاميات من أمثال كارل هينرش بيكر (١٨٧٦م/١٩٣٣م)Beeker الذى يعتقد بإمكان تكيف العالم الإسلامى مع الحداثة والعولمة والمعاصرة من خلال تحديث الإسلام ذاته عن طريق تخليه عن أطروحات القرون الوسطى حول العالم وأستبدالها بمقولات أحدث وأكثر عصرية !!، أو سنوك هيورجرونج الذى يرى ان الطريق الوحيد المتاح للعرب نحو المعاصرة يتمثل فى التعليم الغربى الذى من شأنه أن يحرر تفكيرهم ويقودهم تدريجياً إلى الأوربة[٦٧] !! أو جاك بيرك J.Berque الذى يؤكد فى مرحلة لاحقة ان البلدان العربية يمكن ان تنقذ قيمَّها الروحية إذا لحقت بالشعوب الأخرى فى ميدان التقدم التقنى وتحليل المجتمع الإسلامى المتصل بالحضارة الصناعية[٦٨].. إلخ، وبذلك ترد على التحديات المستقبلية الكبرى .. نقول .. خلافاً لكل هؤلاء كان لويس ماسينيون مقتنعاً بعمق الرؤية اللاهوتية وان مستقبل المسلمين يتعلق بمدى وفائهم للتقليد الإبراهيمى (نسبة إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام – أبو الأنبياء)

---

66)) د. جورافسكى : الإسلام والمسيحية – مرجع سابق – ص ١٢١.

67)) نفس المرجع السابق – ص ١٢٣

(68) Jacques Berque : Normes et valeurs dans l'Islam – contemporain – Paris – 1966- P.212.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبمدى قدرتهم على إعادة بناء عالمهم الروحى الأصيل وتحديد ثقافتهم الحقيقية، فالأوربيون الذين يتحملون مسئولية تحطيم العالم الإسلامى وثقافته الأصلية المتميزة يجب أن يتواصلوا مع الإسلام ويسهموا فى إنبعاثه بالمشاركة والتعاطف العملى والقدرة العقلية؛ والعمل على إعادة بعث تلك القيم الروحية الموجودة فى الذات الإسلامية[٦٩].

وإذا كان الإسلام بالنسبة لعالم الإسلاميات البروتستانتى دنكن بلاك ماكدونالد D.B.Macdonald عبارة عن بدعة (هرطقة) مسيحية !! وآراء سيدنا محمد (ﷺ) لصيقة بتعاليم آريوس !! فإنه تأسيساً على ذلك طرح أمام المبشرين المسيحيين مهمة إكمال عقيدة نبى المسلمين (الناقصة !!) على حد تعبيره وتطهيرها من الأفكار الهرطقية التجديفية تجاه شخص المسيح[٧٠]، فإن الإسلام بالنسبة لماسينيون – الكاثوليكى – أكبر من أى بدعة مسيحية، فهو (أى الإسلام) يشكل وحدة عقائدية مستقلة متكاملة تتمتع بمباركة الرب لأنها ترجع من حيث منابعها إلى " الصلاة الإبراهيمية الثانية " فى بئر سبع عند ولده البكر إسماعيل وشعبه - العرب[٧١].

وطبقاً لقصص التوراة والقرآن فإن العرب انحدروا من نسل إسماعيل بن إبراهيم وهاجر جارية سارة، وبهذا الصدد كتب ماسينيون قائلاً : " إن تاريخ الجنس العربى يبدأ من دموع هاجر – الدموع الأولى فى الكتاب المقدس[٧٢] وبصفة جوهرية فإن أطروحات

---

(69) L.Massignon: Parale donneé, précédé d'entretiens avec vincent Mansour Monteil, Paris – E'd. du seuil, - 1985, - P.181

70))) د. جورافسكى : الإسلام والمسيحية – ص ١٢٤، وقد أستند فى عرضه لهذه الآراء المغلوطة إلى مرجع واردنبرج الصادر فى باريس بعنوان الإسلام فى ذاكرة الغرب .

- J. waardanburg: l'Islam dans le mimoire de l'occident, Mouton. La Haye – Paris – 1962.

71)) أنظر فى ذلك : سفر التكوين : الإصحاح ١٧-١٧ : ١٨، الإصحاح ٢١-٢١:٩ (التوارة – الرؤى اليهودية – رؤيا القديس يوحنا فى المسيحية – سفر الرؤيات – نهاية العالم étude paralléle des avec apocalypses، وللمزيد من التفاصيل أنظر أيضاً: -

- Pierre Rocelve : Louis Massignon et l'Islam – P.84.

ويؤكد المؤلف إن الخبرة الروحية للنبى (ﷺ) تتمثل فى حادثة الإسراء والمعراج كخبرة صوفية خارقة وإن ماسينيون إعترض بكل أعماله اللاهوتية أغلب المستشرقين وقدم أكثر الحجج للغربيين المسيحيين لرؤيته للإسلام وعقائده ولغته وأدبه وميتافيزيقاه بين الشريعة والطريقة وتوحيد حقيقة الروح.. (CF.P.80). **تعقيب** : ولو تدبرنا القرآن الكريم نجد إن الله سبحانه وتعالى أرسل لنا سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم عليهما السلام، وجعل فى ذريتهما النبوة والكتاب، ومن بعدهما أرسل سيدنا عيسى عليه السلام بالإنجيل، ولكن القرآن الكريم آخر الكتب، وسيدنا محمد (ﷺ) أخر الأنبياء، والدين الإسلامى هو دين الله الكامل التام، وإن الدين عند الله الإسلام، فلنقرأ معاً سورة الحديد :" ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا فى قلوب الذين أتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية أبتدعوها .. "آيتين ٢٦، ٢٧.

(72) Louis Massignon : parole donne..P. 280

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ماسينيون تكمن فيها أساس التصور الإسلامى للديانات الثلاثة (اليهودية – المسيحية – الإسلام) مع تركيز ماسينيون على أن رسالة الإسلام الأخيرة إيجابية نظراً لكون المسلمين يتبعون ملة إبراهيم وولده إسماعيل المبارك، اما ديانتهم التى ظهرت بعد سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام عبر سيدنا محمد (ﷺ) فهى إنذار إلهى بالحساب العسير الذى سيشمل الخلق كله، وهى أيضاً الإستجابة الإلهية السرية لدعاء إبراهيم ورغبته حول إسماعيل وأمة العرب إذا اجابه الرب قائلاً : " وإما إسماعيل فقد سمعت لك فيه "[٧٣] وبحسب رأى ماسينيون فإن الإسلام جاء بمنزلة ضمير لليهودية والمسيحية[٧٤]، وإنطلاقاً من تلك المرتكزات الفكرية الأولية رأى ماسينيون انه بإمكان المسيحيون – بل من واجبهم – الإعتراف بـ (المصداقية النسبية) للقرآن والإعتراف الجزئى المشروط بنبوة محمد (ﷺ) وذلك رغم ان سيدنا محمد (ﷺ) أقصى بدعوته الجوهر الإلهى بحيث لايبلغه الإنسان مطلقاً ورفض من حيث النتيجة – الفكرة الصوفية حول إتحاد الإنسان بالإله، وهى الفكرة التى ظهرت فى إطار الإسلام نفسه على قول ماسينيون – بعد مضى ثلاثمائة سنة من الهجرة النبوية على يد الحلاج وبعض الزهاد من متصوفة الإسلام من أمثال الحلاج وابن عربى والسهروردى والبسطامى .. إلخ .

وفكرة الإتحاد ووحدة الوجود التى يتبناهما ماسينيون جرياً وراء الحلاج تعتبر فى نظر أغلب أهل السُنة ومسلمى العالم المعتدلين شطحات لاتقبل . ولكن مسألة تطبيق التعاليم المحمدية حسب النهج الحلاجى (الاتحادى) تشكل إحدى الركائز الأساسية لنظرية ماسينيون ورؤيته اللاهوتية من خلال دراسته المتعمقة للتصوف الإسلامى ووصل إلى الإقتناع بان الإسلام مفتوح لفعل الخير ويحمل فى جوهره إمكان التحول من الداخل أو التجديد والبعث الذاتيين، وهذا المفهوم يضعه ماسينيون معارضاً لمفهوم التحول إلى دين آخر!! وذلك عبر الأولياء المسلمين الذين يأتى الحلاج على رأسهم ويشغل مكان الصدارة بينهم على الأقل فى نظر ماسينيون المغرم به والمتعاطف معه، والذى أعاد بدقة إستثنائية دراسته الصوفية وتعمق فى مذهبه ودافع عن وجهة نظره، وطبقاً لأطروحته فإن الحلاج لم يكن زنديقاً مرتداً أو حلوليا وإتحادياً كما اتهمه اعداؤه ومنتقدوه من الفقهاء المسلمين، وكذلك لم يكن مسيحياً مستتراً كما حاول ان يبرهن بعض الباحثين الأوروبيين للفكر الإسلامى، ويؤكد ماسينيون ان مذهب هذا الصوفى لايتعارض أو

---

(73) Ibid : P. 288

74)) د. جورافسكى : الإسلام والمسيحية – مرجع سابق – ص ١٢٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتناقض فى أفكاره وتوجهاته العامة والأساسية مع الإسلام السُنى، وماسينيون يقدم الحلاج بوصفه أحد الدعاة المعبرين بدقة عن العقيدة التوحيدية(٧٥). .

والحلاج أيضاً كصوفى سُنى – وهو عند الأغلبية صوفى فلسفى – لم يسلك طريق البعض فى توجيه تهمة التكفير للنزعات والمذاهب العقائدية الأخرى فى الإسلام، وذلك كمحاولة مُخلصة من جانبه للتقريب بين تلك المذاهب والفرق رغماً عن أنه من أكثر الصوفية إتهاماً بالكفر والإلحاد من قبل الكثيرين !!

وبرأى ماسينيون فإن الحلاج الملتزم بالعقيدة الصحيحة للإسلام كان أقرب شخص مسلم إلى فكرة المسيحية حول وحدة اللاهوت والناسوت، وهى ذات الفكرة التى عبر عنها الحلاج فى قولته الشهيرة " أنا الحق " Je suis la vérité وهى نفس العبارة التى كانت سبباً فى قتله(٧٦).

وفى الإصطلاح الصوفى (الحق) اسم من أسماء الله تعالى بينما (الحقيقة) هى التوحيد، ورغم نقصان هذا التعريف فإن كلمة الحق تتضمن لدى الصوفية تفسيرات ومعانى عديدة نذكر منها قول ابن عربى (وهو أيضاً من الصوفية الذين عانوا الكثير) ان الحق كل ما فرض على العبد من جانب الله وكل ما أوجبه الله على نفسه، وهناك حق اليقين عبارة عن فناء العبد فى الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً . أما الحقيقة فهى إقامة العبد فى محل الوصال إلى الله تعالى ووقوف سره على محل التنزيه، وقيل إن الفرق بين الحق والحقيقية أن الحق هو الذات والحقيقة هى الصفات، والحق اسم الذات والحقيقة اسم الصفات(٧٧).

---

75)) من خلال قراءة أعمال الحلاج قراءة متعمقة، هناك بالفعل نصوص واضحة جلية على لسان الحلاج تدل على أنه نادى بالتوحيد والتنزيه المطلق وكأنه أحد علماء الكلام من المعتزلة .. راجع فى ذلك : ماسينيون : أخبار الحلاج – صفحات ٢٨، ٣٥، ٧٥.

(76) L. Massignon : Opéra Minora, textes recueillis classés et présentes avec une bibliographie par . Y. Moubarac. Beyrouth. –3 volumes 1963 – Vol 1. P. 220, Vol. 2 P. 104.

77)) يراجع فى ذلك : د. عبد المنعم الحفنى – معجم المصطلحات الصوفية – طبعة بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٩٥، موسوعة الفلسفة والفلاسفة – ج٢ – نشرة مكتبة مدبولى بالقاهرة – طبعة ثانية – ١٩٩٢ أنظر أيضاً: دراسة جوزيف مارسيل : Joseph Maréchal: le problème de la grâce mystique Islam. (Rech. Sc. Rel. 1923 - PP.244-292) Réedité dans Etudes sur la psychologie des Mystiqu. T.11, louvain - Paris -1937 - PP.487-531 وهو من الخبراء الأول المعترف بهم على الإطلاق فى إعطاء الوضع النهائى فى المصطلحات الصوفية الحلاجية.. أنظر فى ذلك: .L.M .: O.M. Vol. 2 - P.226

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومما تقدم يتضح لنا أن الجوانب اللاهوتيـــة لرؤيـــة ماســـينيون وتـــصوره للـــدين الإسلامى وجهوده فى هذا المجال يستند بالدرجة الأولى إلى النقطتيين التاليتين :-

١- إنتماء الإسلام للملة الإبراهيمية أو الشجرة الإبراهيمية المباركة.

٢- النهج الذى سلكه الحلاج (صوفياً) فى تفسيره وممارسته للإشكالية اللاهوتية للإسلام.

ومن المسائل التى أولى ماسينيون أهمية كبرى لدراستها وبذل فيهـــا جهـــداً كبيـــراً المسائل اللاهوتية العامة، والتى تتسم بأهمية رمزية وتشكل محطات ومرتكزات أساســـية فى تاريخ العلاقات التفاعلية المتبادلة بين الإسلام والمسيحية نجد :-

أ – تبجيل مريم العذراء فى الإسلام والمسيحية .

ب- تأثـــير (الرهبنة) المسيحية فى إجـــلال فاطمة الزهراء (ابنة الرسول (ﷺ)) وتقديسها عند المسلمين.

ج- التقديس المشترك (الإسلامى / المسيحى) (أهل الكهف السبعة الذين قاموا فى كهفهم الواقع فى أفسس Ephsèse ثلاثمائة وتسع سنين .

د- معاهدة نجران بين النبى (ﷺ) والنصارى أيام البعثة النبوية .

هـــ- البعـــثة السلمية لفرنسيس الاسبزى إلى الشرق الأدنى وخطبته العقائدية فى قصر السلطان المصـــرى (الملك العادل) والملامح المشتركـــة بـــين الزهـــد المسيحى والإسلامى.

ويعتقد لويس ماسينيون ان متابعة بحث تلك المحطات المشتركة بين الـــديانتين مـــن شأنها تهيئة الأرضية الطيبة لحوار لاهوتى مثمر بين المسيحية والإسلام(٧٨).

---

78)) أنظر فى ذلك :

L.M.: O.M. le christ dans les Evangiles selon al-Ghazali-Vol.2.PP.520:525
L.M.:O.M. les « sept Dormants » apocalypose d'Islam. Vol. 3 PP.104-118.
L.M.:O.M. Mystique Musulmane et Mystique chrétienne au Meyen Age. Vol.2. PP.470-481.

تعقيب: وبخصوص قصة أهل الكهف كما جاءت فى سورة الكهف فى قوله تعالى : " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهراً ولاتستفتى فيهم أحداً " { آية : ٢٢ }. ويرى ماسينيون وبصورة رمزيـــة عددية إن توجه الكهف يثبت صحة النص القرآنى، ويجدر بالذكر إنه زار منطقة أفسس ١٩٥١ فتحقق مـــن ذلك الكهف الذى آوى إليه الفتية شمالاً وجنوباً، ويقول الله تعالى : " وترى الشمس إذا طلعت تـــزاور عـــن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منهم .. " سورة الكهف – { آية : ١٧ }، ويراجع أيضاً فى ذلك : هامش كتاب د. جورافسكى : الإسلام والمسيحية (المترجم – ص ١٢٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولعل الحوار وما يثمر عنه من نتائج تعطى للغرب (اليوم) صورة صحيحة للإسلام، وهذا هو دور المستشرق المعتدل أو كما يذكر د. أدوارد سعيد فإن الموقف الخلاصى للعناصر المشتركة مع أفضل ما فى الدراسات الإنسانية لهذه الفترة يمكن أن يعتبر المعادل الإستشراقى للمحاولات التى تمت فى الدراسات الغربية المحضة لفهم الثقافة المغايرة[٧٩] ومنها بالطبع دراسات لويس ماسينيون وآراؤه فى مجال الفكر الفلسفى الإسلامى على ما سنرى.

رابعاً: أهم آراء ماسينيون وجهوده فى الفكر الإسلامى:

.. بعد أن عرضنا فى النقاط الثلاثة السابقة لحياة وعصر ومؤلفات لويس ماسينيون ورؤيته اللاهوتية وجهوده فى الدرس الفلسفى من خلال العديد من المحاضرات والندوات والأبحاث، إتضح لنا إن ملامح الجهد المبذول ينصب على النقاط الآتية :-

١- فى التصوف الإسلامى والطرق الصوفية (الحلاج نموذجاً)

من المعلوم إن جُل الأعمال الكبرى لماسينيون تتمثل فى دراسته الموسوعية عن الحلاج شهيد التصوف، أو على حد قوله شهيد الحقيقة فى بغداد (حياته – فكره وآثاره – قصائده ونصوصه الصوفية – بحوثه الفلكلورية – عذاباته النفسية ..). وبموت الحلاج أو بمعنى أدق قتله – مات التصوف فى الإسلام، ومن هنا إرتكزت بحوث ماسينيون فى مشروع قراءة الحلاج ومراجعة بعض محاولات ترجمة نصوصه، وإشكالية تلك المراجعة تتدرج فى تلمس نظرة جديدة إلى الفكر الصوفى تأخذ بعين الإعتبار محور (تصوف الحلاج/ الإستشراق) بسبب العلائق العضوية التى تربط هذا المحور بنتائج مهمة تشمل العقائدى/ المعرفى / الوجودى، ومن هنا فالمنطلق الأساسى إذن مرتبط بنقد جهود الإستشراق الذى توجه مباشرة إلى النص الصوفى، وتحديداً جهود ماسينيون حيث أثرت إلى حد بعيد فى تفاصيل تلقى الإسلام وروحانيته فى الفكر الغربى، وهناك شروط ومحددات للتعامل مع الحقيقة الصوفية من خلال كشف العلاقة بين محورين متداخلين :-

المحور الأول : إصرار الأطروحة الإستشراقية على الأصل الدخيل لتصوف الحلاج .

المحور الثانى :جعل الأصل الإسلامى نسبى النزعة بإعتباره الموقف الرسمى .

---

79)) د. إدوارد سعيد : الإستشراق ... مرجع سابق – ص ٢٦٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فكلاً المحورين ينتهيان إلى إشكالية تعرقل تحديد دور التصوف الإسلامى ذاتـه[٨٠] ولكـن غرضنا من البحث هو تلمس رؤية الآخر للتصوف الإسلامى .ومن هـنا كانـت محاولات ماسينيون مهيمنة على مجمل الدراسات اللاحقة التى تعرضت لتصوف الحـلاج ويقرر أرنولد نيكلسون A. Nicholson، إن الإهتمام بفكر الحلاج يرجع إلى بداية الدرس الإستشراقى فى أوروبا من قِبل (ثولوك)[٨١] الذى عَـدل عن آراؤه ومواقفه فيما بعد.

ولقد تعرض نيكلسون لقول الحلاج " انا الحق " كما تعرض لها ماسينيون، وحـاول تفسيرهـا بما يتفق مع آراؤه وآراء المستـشرقين الآخريـن وأصـحاب الأغـراض الأخرى ولكن ماسينيون كان يؤولها ويصف الحلاج بالرجل المتآله، والحلاج كما يقـرر ماسينيون يصف الألوهية بالتجريد والتنزيه، ومن هنا جعله البعض من صوفية أهل السُنة (فى التوحيد) وخصوصاً أنه لم يستخدم مبدأ التقية الشيعيـة، وأبـاح بالسر فقتـل علـى عكس ما ذهب إليه أستاذه الجنيد بن محمد الذى كتم السر فـسُتر، ومقولـة " أنا الحـق " Je suis la vérité أخذت أكثر من حجمها الحقيقى (بسوء فهم) حيث يستخدمها الصوفية عادة للدلالة على الخالق وليس المخلوق، فالخالق هو الله والمخلوقات هى العالم أجمع، ولم يخطر بذهن الحلاج مطلقاً إن معرفة الله المنزة شيئ فى غير مقدور الإنسان، وهنا نجـد نيكلسون الذى يذهب فى الرأى مع تأويل ماسينيون بهذه المقولة – يرى أن الرجل المتألـه يجد فى نفسه بعض تصفيتها – بأنواع الرياضة والمجاهدة والزهـد الـصوفى – حقيقـة الصورة الإلهية التى طبعها الله فيه، لأن الله خلق الإنسان على صورته، ويذكر نيلكـسون إن الحلاج يتخذ من العبارة القديمة المأثورة عن اليهودية والمسيحية وهـى قـولهم إن الله خلق آدم على صورته – أساساً لنظريته فى خلق العالم[٨٢]، وهذا يتضح بجلاء فى قـول الحلاج فى الطواسين: " تجلى الحق لنفسه فـى الأزل قبل ان يخلق الخلق، فنظـر فـى

---

80)) د . قاسم محمد عباس : الحلاج – الأعمال الكاملة (التفسير – الطواسين – بستان المعرفـة – نـصوص الولاية – المرويات – الديوان) – دار رياض الريس للكتب والنشر – بيروت – لبنان – الطبعـة الأولـى ٢٠٠٢ – ص ١٤-١٥.

81)) ارنولد نيكلسون : فى التصـوف الإسـلامى وتاريخـه – بتحقـيق أبو العلا عفيفى – الطبعة الأولـى – القاهرة – ١٩٥٦ – ص ١٣٢، والأهتمام بـفكر الحـلاج يرجـع إلـى كـتاب ثولـوك الإيطـالى (Pantheistica fsufismse sivetheologia persica)) الذى يعد أول كتاب صدر فى أوروبـا قاطبـة وتناول فيه إشكالية الأصل المجوسى للتصوف الإسلامى عامةً بما فيه تصوف الحلاج – راجع مقدمة أبـو العلا عفيفى – ص٣-٥ .

82)) المرجع السابق : ص ١٣٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأزل وأخرج من العدم صورة آدم "[٨٣]، بالإضافة إلى إن للحلاج أقوالاً مأثورة وعبارات وحكم مشهورة هي أقرب إلى التوحيد منها إلى مذهب الإتحاد ووحدة الوجود والحلول الذى إتهم به زوراً وبهتاناً، بل هى إبطال للإتحاد والحلول وإبطال لما أُتهم به ووصم بالكفر والزندقة من أجلها، وإن تهمة القول بالإتحاد أكثر شناعةً وألصق بالكفر والزندقة من شبهة الحلول التى ألصقها بعض الفقهاء القدامى والمؤرخين المحدثين بالحلاج[٨٤]، وماسينيون يدافع عن الحلاج والصوفية ويؤكد على أنهم لايرون شيئاً حتى يرون الله معه، وإن الصوفى لايرى شيئاً حتى يرى الله قبله، والحلاج صاحب نظر وإستدلال وصاحب مشاهدة وإشتغال، قد أعلن الحلاج المعذب شهادة التوحيد الشرعى الإسلامية فقال : " حسب الواحد إفراد الواحد له "[٨٥].

وقد أفاض ماسينيون فى مذهب الحلاج La doctrine de Hallâj فى التصوف عارضاً لنا تفسير روزبهان البقلى للشطحيات فى جزء من أهم أجزاء كتابه الموسوعى{ la passion } عن شخصية الحلاج، وكيف أنه يمثل لدى الغربيين قيمة عالية خالدة، وكيف أنه كان ضحية التبشير والإعلان عن نظريته الصوفية وأفكاره الفذة وإنه غواص فى المطلق l'absolu وحكيم فارس le sage du Fârs، ولقد أورد ماسينيون مقولة الشيخ فريد الدين العطار الصوفى عن الحلاج فى إنه كان محارباً ومناضلاً ومكافحاً وأُعدم بمعرفة الله فى حرب القديسيين (الأولياء) وكان شجاعاً كالأسد فى شريعة الغاب المكشوفة ولكن هذا المحارب الجرئ سعدته تكشيرة القرد وبلغ الطعم فى المحيط الصاخب، وقُتل وصلب بوشاية من الفقهاء والساسة فى عصره، وقام ماسينيون بتحليل كلمة " تصوف " قائلاً :-

---

(83) L.M.: La passion ... la doctrine de Hallâj – traduction des tawâsîn a chapitre premier. To. 3-P.300 .

أنظر أيضاً : د. قاسم محمد عباس – الحلاج – الأعمال الكاملة – الطواسين – ص ١٦١

84)) د. محمد جلال شرف : دراسات فى التصوف الإسلامى – شخصيات ومذاهب – دار الفكر العربى بالقاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٨٣ – ص ٣٥٨ وما بعدها، ص ٣٧٥. وأستاذنا د. شرف رحمه الله يؤكد على إن الحلاج سُنى موحد بالله وهو أقرب إلى أهل السُنة منه إلى الشيعه، كما يورد لنا دفاع الغزالى عن الحلاج – يراجع فى ذلك ص ٣٥٧ – ٣٨٠.

85)) ماسينيون : أخبار الحلاج – ص ٤٩، أنظر أيضاً : د. عبد الرحمن بدوى : شخصيات قلقة فى الإسلام – وكالة المطبوعات – الكويت – الطبعة الثالثة – سنة ١٩٧٨م، دراسة مترجمة عن المنحنى الشخصى للحلاج الشهيد الصوفى فى الإسلام – نشر فى مجلة (الله حى) عدد ٤ –١٩٤٥م – ص ٧٨ وما بعدها.

- Louis Massignon : Etude sur une courbe personnelle de vie : le cas de Hallâj martyr mystique de l'Islam, in Dieu vivnt. N.4. 1945.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Le mot “ Mystique “ a été généralisé dans des acceptions si diverses surtout de notre temps …”(86)

بأنها كانت بصفة عامة – وخصوصاً فى عصرنا – الخبرة الرمزية والفردية فى دراسة علم النفس والعمل الفردى الذاتى فى الديوان (ديوان الحلاج).

ويعرج بنا ماسينيون إلى دراسة الفيلسوف ابن سينا ويتساءل هل كان هو أيضاً صوفياً ؟ ويقرر ان ابن سينا كان قبل كل فيلسوف فى عصره فيلسوفاً وصوفياً مثل ما كان أرسطو فى اليونان وهو من الفلاسفة الموسوعيين، ومن أكبر شراح أرسطو الذين يمكن لنا وضعهم خارج التقسيم والتصنيف فى كل العلوم والأبحاث فى معرفتنا أجمع، ويشرح لنا الأفكار العامة لابن سينا وكيف أنه ولد مسلماً وكانت عائلته من الشيعة الإسماعيلية(٨٧).

وإذا كان الإسلام ودراسة الفكر الإسلامى عموماً هو محور إثبات الشخصية الذى يدور حوله مصير حياة لويس ماسينيون ومجمل مؤلفاته، فإن رؤيته للإسلام التى بدأت بأعماله عن الحلاج – كما قلت – والتصوف بصفة عامة إرتكزت على مصادر التوراة حول الإسلام، وإبراهيم (عليه السلام) وهو أبو كل المنبوذين عن طريق إسماعيل (عليه السلام) من خلال مفهوم الضيافة المقدسة. la nation d'hospitalité sacrée وأسقط الكثير من الأفكار الراسخة فى أذهاننا (الغرب) على حد تعبير بيير روكالف، والمتعلقة

---

(86) L.M.: La passion .. – to 2 - PP. 410-417.
L.M.: Opéra Monora, textes recueillis classés et présentés To.2 - P.466.

(87) وقد بدأ ماسينيون بتعريف كلمة تصوف فى دراسة له بعنوان ; Avicenne (en arabe Ibn Sinâ) Philosophe, A.T. Il été aussi un mystique ? - O.M.: .1954 - P.466
وبخصوص التصوف الإسلامى وموقف ابن سينا، وكيف ان نقد إتجاهاته يعد تعبيراً عن ثورة العقل، وان التصوف طريقاً وجدانياً لاعقلياً برهانياً .. يراجع د. عاطف العراقى : ثورة العقل فى الفلسفة العربية – دار المعارف بمصر – الطبعة الخامسة – ١٩٨٤م – ص ١٢٠، ١٢٣، ١٦١ . وفى الوقت الذى يقرر فيه ماسينيون ان ابن سينا كفيلسوف يعد خصماً وعدواً للأشاعرة، فهو هنا يمايز فيلسوف بفرقة كلامية . نجد أستاذنا د. عاطف العراقى يقول : ان ابن سينا فى التصوف يتجه إتجاهاً جبرياً يتلاقى وإتجاه المتكلمين من الأشاعرة، وميله إلى نفى العلاقة الضرورية بين الأسباب والمسببات فى أخر النمط العاشر من (الأشارات والتنبيهات) – يتلاقى أيضاً من بعض الوجوه مع رأى الأشاعرة، ويعتبرف أخيراً ان بعض ما كتبه ابن سينا فى مجال التصوف يملأ القلب سكينة والنفس طمأنينة ولكن ليس معنى هذا ان ابن سينا يعد متصوفاً فى قرارة نفسه، إذ ليس كل من كتب عن التصوف يعد متصوفاً .. أنظر فى ذلك : المرجع السابق ص٢٥٣/٢٥٤، وفى أحدث طبعة لأحد كتب المستشرق الفرنسى Louis Gardet يفرد جزء هام لدراسة ابن سينا والتاريخ والحضارة، وابن سينا الإنسان، والسنوات الأولى من حياته وروحانية العائلة ..إلخ. يراجع فى ذلك :-
Louis Gardet: L’Islam Religion et communauté - présentation de Malek Chebel – D.Brouwer - Paris – 2002. PP. 243-251.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالإسلام (السُنى-التصوف- التشيع)[٨٨]، وفى موضع آخر يقرر ماسينيون أنه بفضل التصوف كان الإسلام ديناً دولياً وعاماً . إنه دولي بفضل الأعمال النقية التى قام بها الصوفية فى زياراتهم لبلاد غير المؤمنين (الغرب) أى بفضل المثل الرائع الذى قدمه نُساك وزهاد المسلمين من شيوخ الطرق الصوفية من أمثلة : الكبروية والشطرية والنقشبندية والقادرية .. إلخ، والذين كانوا يتعلمون لغات الهنود وسكان جزائر الهند الشرقية ويندمجون فى حياتهم، هذا المثل هو الذى هدى أولئك القوم إلى الإسلام أكثر مما فعل الغُزاة، وإنه عام لأن الصوفية هم أول من فهموا الأثر الخالد الفعال للدين الحنيف وهو وجود توحيد عقلى طبيعى لجميع بنى الإنسان[٨٩].

أ – منهج ماسينيون فى دراسة الحلاج :

لقد اتبع ماسينيون منهجاً جديداً غيّر الدراسات الإسلامية والفلسفية تغييراً كاملاً فأعطاها بعداً لاهوتياً لم تكن تتمتع به من قبل، فإذا كان المنهج الإستنباطى والشمولى La méthode intérioriste et globalisante يعتمد على فلسفة الأخرويات[٩٠]، فقد أتبع ماسينيون منهجاً مخالفاً وتبناه وهو منهج الإستبطان الشخصى وبسبب ذلك فإن محاولاته قد هيمنت على مجمل الدراسات اللاحقة، والتى أستطاعت أن تحدد قائمة بمصادر الحلاج وعلى سبيل المثال الأصل المجوسى والذى لم يكن له أى فاعلية فى عمل العقيدة الحلاجية وأتفق كل من ثولوك وألفرد فون كريمر على عد الحلاج من ممثلى وحدة الوجود، والمواقف هذه عبارة عن خلط بين نظرية فلسفية مثل وحدة الوجود وبين تصور فلسفى مثل وحدة الشهود . بمعنى أن الذى يذهب إلى التنزيه المطلق لايمكن أن يعد من أصحاب وحدة الوجود، ومن يقرأ أخبار الحلاج يجد نصوص عديدة تؤكد أنه من أصحاب التوحيد الذين يقولون بالتنزيه والعدل وغير ذلك من الآراء الكلامية كما سنرى.

أما رؤية ماسينيون فهى مرتبطة إلى حد ما بموقف ماكس هارتون الذى قدم إعتراضات منطقية على محاولة ماسينيون، وقد كتب هارتون مقالتين مهمتين فى عامى ١٩٢٨/١٩٢٧ وإندفع فى إحداهما إلى إثبات الأصل الهندى لتصوف الحلاج، وحاول فى

(88) Pierre. R. : L.M. et l'Islam. P. 203.
(89) L.M. : Essai sur les origines du lexique technique de la Mystique Musulmane , Paris – 1954- P. 80.
(90) (103) Pierre. R : L.M. et l'Islam – P. 205.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقالة الثانية أن يؤكد أطروحة الأولى عبر بحث المصطلحات الصوفية الفارسية بحثاً فيلولوجياً لينتهى إلى ان التصوف الإسلامى هو ذاته مذهب الفيدانتا[٩١].

ومما سبق نلحظ إن الدراسات المتعددة فى إحالة تصوف الحلاج إلى عدة مصادر تناولها جميعاً لويس ماسينيون فيما بعد، ومن هنا تعد دراساته عن الحلاج دقيقة متكاملة فى تبنى المنهج الأستبطانى الشخصى ، ويذكر د. قاسم إن ماكس هارتون قام بمراجعة مهمة لترجمة ماسينيون لنصوص الحلاج أفادت الدراسين كثيراً فى تعقب جهود ماسينيون منهجياً وتعطى لنا رؤية دقيقة لمجمل التلقى الغربى لتصوف الحلاج، فتجربة الحلاج هى تجربة ممثلة لتجربة كل الآسيويين على المستوى الروحانى، فالشخصية الإنسانية ذاتها يراد بها الطبقة الطبيعية والطبقة الميتافيزيقية حيث ينبغى أن تكون الطبقة الثانية فى حال تطابق مع الذات الأصلية ثم يتم تلخيص المحور الثانى بمفهوم التجربة الصوفية فى سياقها الميتافيزيقى المؤدى إلى توحيد الثنائية الأولى { الذات والموضوع } وثنائية { الله – الإنسان } وعند حجب المستوى الظاهر نصل إلى المنهج الذوقى، ومنها إلى الإتحاد الجوهرى الذى كان ولايزال موجوداً وجوداً ذاتياً وضرورياً[٩٢].

وسجل هارتون مراجعته بملاحظتين أنتقد بهما دراسة ماسينيون، الأولى : على مستوى المضمون، والثانية : على مستوى المنهج .

أما **الأولى** : فتقوم على التأويل المسيحى الذى يرفض التأويل الإسلامى السُنى إنطلاقاً من فهم إنه لايمكن الكلام عن الإتحاد ميتافيزيقياً، وهى ذات الفكرة التى تناولها التصوف الإسلامى فيما بعد من قبل أصحاب وحدة الوجود . وقد تناول متصوفة القرن الثالث هذه الإشكالية وإنتهوا إلى هذه النتيجة فحددوا مفهوم التوحيد، وتعد هذه الخلاصة إفراد القدم عن الحدث كفصل بين ذاتين، أو لايمكن الإيمان بوجود جوهر حقيقى بمعية الجوهر الأصلى، والإيمان بثنائية حقيقية أعترض عليها ابن عربى فيما

---

91)) نسبة إلى الفيدا كتاب الهندوس المقدس، وهى كلمة سنسكريتية معناها العلم أو المعرفة، وهى تضم أربعة أسفار (يراجع – جون كولر – الفكر الشرقى القديم – سلسلة عالم المعرفة – العدد ١٩٩ – ترجمة د. كامل يوسف حسين – مراجعة د. إمام عبد الفتاح إمام– الكويت– يوليو ١٩٩٥م– ص ٣٥).

نسبة إلى الفيدا كتاب الهندوس المقدس، وهى كلمة سنسكريتية معناها العلم أو المعرفة، وهى تضم أربعة أسفار (يراجع – جون كولر – الفكر الشرقى القديم – سلسلة عالم المعرفة – العدد ١٩٩ – ترجمة د. كامل يوسف حسين – مراجعة د. إمام عبد الفتاح إمام– الكويت– يوليو ١٩٩٥م– ص ٣٥).

92)) د. قاسم محمد عباس : الحلاج – الأعمال الكاملة .. ص ٢٠، أنظر أيضاً : الطواسين (الأزل – بستان المعرفة) – ص ١٧٥، ١٨٩ – نفس المرجع .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد فى رسائله، أما الطرف الأخر للمستوى المضمونى فهو التأويل السُنى الإسلامى، ففى طائفة أقوال الحلاج وقراءة ماسينيون تركز موقفه من التوحيد وعلاقته بالوحدة الإلهيـــة، وهى قراءة جديدة وموجهة، والذهاب إلى الإعتقاد إن فهمه للتوحيد يتطـــابق مـــع توحيـــد الإسلام المبكر الذى كان لابد من الوقوف عند هذه الملاحظة حول التوحيد عند الحـــلاج، الأمر الذى ربطه ماسينيون بموقف الإسلام المُبكر، ونتفق تماماً مع ماسينيون فى توحيـــد الحلاج، ويؤكد هذا جميع ما ورد من نصوص فى الديوان وفى أخبار الحلاج وكلها تثبت ان توحيد الحلاج توحيداً خالصاً غرضه التنزيه المطلق[٩٣]. فخلال الفترة التـــى عاشـــها الحلاج كانت عقيدة التوحيد تعاش من قِبل الجماعات الدينية جميعها لاسيما المعتزلة كفرقة كلامية كانت لها أطروحاتها وتوجهاتها حول التوحيد تهيمن على كل المدارس، ومن هنـــا سموا بأهل التوحيد وأحياناً بأهل العدل والتوحيد، ولانرى أى فرق يذكر بين الحلاج فـــى نصوصه التوحيدية وبين آراء المعتزلة .

أما الملاحظة **الثانية** على مستوى المنهج، يورد هارتون إعتراضـــه علـــى مـــنهج ماسينيون فى إشكاليتين :- **الأولى** .. عرضه فكر الحلاج وفق منهج الفلاسفة والمتكلمـــين حيث الإنطلاق من الفرضيات بشكل مختلف، فالفلاسفة من أمثال ابن سينا والفارابى مـــثلاً ينطلقون من فرضيات أساسية ذات نزعة ربوبية ، بينما العلاقة بـــين الله والعـــالم عنـــد الحلاج تختلف كصوفى . **والثانيـــة** .. محاولة ماسينيون تأسيس قراءة تعتمد على مـــنهج الإستبطان والتعاطف، الأمر الذى يبرر لنا ذلك السحر الذى تتحلى به مؤلفات ماســـينيون لأنها نبعت من عمق التجربة الشخصية[٩٤] .

ب- عن السيكولوجية الحلاجية :

مما لاشك فيه إن الشخصية الحلاجية من الشخصيات الحادة التى طرحـــت ذاتهـــا بذاتها، ولم تترك لنفسها تتشكل على وفق مجرى الوقائع ذاتهـــا التـــى أدت فـــى النتيجـــة النهائية إلى قتل النموذج الإلهى فى الإنسان طبقاً لتصور ماســـينيون، ومـــن ثـــم تـــدمير الخطاب الدينى فى عناصره الجوهـــرية لإنشاء سلطة قمعية تستغل الشعور الدينى بأســـم

---

93)) ماسينيون : أخبار الحلاج أو مناجاة الحلاج – وهو من أقدم الأصول الباقية فى سيرة الحلاج، أعتنى بنشره وتصحيحه وعلق عليه ل . ماسينيون وب . كراوس – النص مع الترجمة الفرنسية عـــام ١٩٣٦م – مكتبـــة لاروز – باريس، أنظر بخصوص التوحيد – النصوص الفرنسية – أرقـــام ٢٥-٢٩ – صـــفحات ٤٧-٤٩، أيضاً أرقام : ٣١-٣٧ – صفحات من ٥٦ وما بعدها .

94)) د. قاسم محمد عباس : الحلاج - الأعمال الكاملة .. ص ٢٣. د. قاسم محمد عباس : الحلاج - الأعمال الكاملة .. ص ٢٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله مرة وبأسم الشريعة مراراً[٩٥]، ولايستطيع المرء أن يلغى دور الإلهيات والغنوصيات القديمة فى تشكيل جانب مهم من الشخصية الإسلامية، ولنا أن نتفحص المفاهيم الأولى عند الزهاد الأوائل أمثال : الحسن البصرى { ت ١١٠هـ } وتأثير الثقافة الهللينية على البسطامى {ت٢٦١هـ} وذى النون المصرى { ت ٢٤٨هـ }، وإن لم تطمح مثل هذه الشخصيات إلى ان تطرح ذاتها كبديل لما هو سائد حينذاك خلافاً للحلاج الذى جاء بعدهم مدفوعاً برغبة ملحة بإعادة صياغة محددات الشخصية الإلهية بنموذجها المحمدى بعيداً عن إفرازات الإسلام السياسى الزمنى (يراجع نبرات الصدق الممزقة التى خلفتها كلمات الحلاج الأخيرة عشية إعدامه)[٩٦]، بكل ما فيها من تجاوزات وشطحات أمام الإنسان العادى، ولكنه أراد ان يؤكد دور الشريعة الحقيقى بفهم الوصول إلى حقيقة الشريعة وليس تحطيمها، ومن يراجع أبيات شعره يرى إنه وصل إلى ذروة إنشداده للرحمة عندما أستخلص شخصيته من الإتحاد مع المحبوب فى صلاته عشية الإعدام عندما أخذ يردد بعد الصلاة .."مكر، مكر " وهى صفة إلهية أكدها القرآن الكريم فى خطاب إلهى ضمن مجموعة من الآيات القرآنية حيث قال تعالى : " الله خير الماكرين"، وعندما فكر بموقف الفقهاء الذين عدهم كمساعدين له وهو ينذر جسده ليستدل الجمهور على صدق ما ذهب إليه – فكر الحلاج تلك الليلة بموته الكبير ووجد نفسه فى مواجهة موقف حقيقى يشهد به أمام الأمة على ولايته، محرراً نفسه ليصرخ فى النصف الثانى من الليل " حق، حق " لتكون المعادلة الصوفية النفسية " مكر، حق، مكر، حق " بمعنى إن الذى يتوجه إلى موته بهذه الطريقة لايقدم صورة لجسد شخصية معذبة، وإنما يقدم صورة واضحة للذى يموت من أجله (وهو الله) فالفرح من الله إلا أن العذاب هنا صورة الله أيضاً، ومن هنا نجده يقول فى الديوان : وكل مآربى قد نُلت منها .. سوى ملذوذ وجدى بالعذاب[٩٧]. ويذكر د. قاسم ان الرغبة الحقيقية هى الوصول إلى المشنقة، وهنا ينفسح المجال الدلالى لـ (مكر، حق)[٩٨].

---

95)) المرجع السابق .. ص ٣٩.

96)) ماسينيون : أخبار الحلاج – نصوص أرقام : ١، ٢، ١٦، ٧٠، ٧١، من ص ٧-١٣، من ص ٣٤-٣٧، النص الفرنسى + الترجمة العربية . وبخصوص صلب وقتل الحلاج وأخر ما قاله قبل القتل وإستعماله لألفاظ اللاهوت والناسوت، وقوله مناجياً ربه حالة القتل والصلب : اللهم أنك أنت المتجلى ولك الحمد دائماً، ثم أنشد قائلاً : أقتلونى يا ثقاتى .. إن فى قتلى حياتى
وحياتى فى مماتى .. ومماتى فى حياتى
راجع فى ذلك : L.M.: la passion. To 4. PP. 307-309، أيضاً : أخبار الحلاج – ص ٧.

97)) أنظر الديوان .. ص ١٠٩.

98)) د. قاسم محمد عباس : الحلاج – الأعمال الكاملة – ص ٥١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن هنا نجد ديوان الأدعية والمناجاة لشهيد التصوف الإسلامى يحتوى على أربعة أجزاء فى مجلد واحد بعد المقدمة منها بالطبع :-

- نقــد النــصــوص Critique textuelles
- تحليل دلالـــة النص Analyse sémantique

وقد قام ماسينيون بترجمة فرنسية للوثائق والنصوص مع تقــديم فهــارس وقــوائم تحقيقية وملاحظات حول النص العربى Texte Arabe et Notes[٩٩] .

ومن ناحية أخــرى إن عقيدة بعــث الجسد عند الحلاج تأخــذ معناها فـــى هــذا العالم، ولأن الحق خالق كل شيئ، فللجسد قيمته المؤكدة، ولذا فإن الحلاج كان فرحاً وهو يتقدم نحو موته فى مغامرة لها دلالاتها، فهى صورة تتماهى مع صور الــشهداء الأوائــل للإسلام المبكر وكأنه فى معركة مقدسة فى سبيل الله، ويشبه ذلك طبقاً لرؤيــة ماســينيون وجوه ضحايا فاجعة كربلاء (٦١هــ) وهم يقدمون أجسادهم للسيوف شهداء . ولقــد ردد الحلاج وهو يتقدم نحو موته مقطوعة شعرية من أربع أبيات تكشف لنا عن الــسيكولوحية الحلاجية، وتؤكد لنا التصور الحلاجى عن التضحية (التــى يــشبهها ماســينيون بــصلب المسيح) وتحطيم المعبد الإبراهيمى فى جسده (إسماعيل فداء لإبراهيم)، وعن ابى الحسن الحلوانى قال: حضرت الحلاج يوم وقعته (يوم صلبه) فأُتى به مسلسلاً مقيداً وهو يتبختر فى قيده وهو يضحك ويقول :-

نديــمى غــيــر منــســوبٍ إلــى شيــئ مــن الحيــفِ
دعــانــى ثــم حيــانـــى كــفعل الضيــف بالضــيفِ
فــلمـــا دارت الكـــــأسُ دعا بالنطــع والسيـــفِ
كـــذا مــن يــشربُ الراحَ مــع التــنيــن فى الصيفِ[١٠٠]

---

99)) أنظر فى ذلك : مقدمة كتاب أخبار الحلاج – ديوان الأدعية والمناجات (فرنسى/ عربى) والمفارقات ما بين طبعة ١٩٣٦م – ماسينيون وكراوس، ونسخة ١٩٥٦م – ماسينيون وجيلسون وجاردية، حيث الأهتمام بدراسة نقد النصوص الداخلية وتحليل الدلالة للنص الصوفى .

100)) أنظر فى ذلك : النص الفرنسى ص ١١٧، والنص العربى ص ٣٥ من أخبار الحلاج لماسينيون، ووردت هذه الأبيات المشهورة فى أصول كثيرة منها : تاريخ الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى، والأصول الأربعة – ص ٣٤، وتذكرة الأولياء لفريد الدين العطار – ج٢ – ص ١٤٢، وغيرها كثير من أوائل الصوفية فــى الإسلام، والغريب فى الأمر إن د. قاسم أورد الشطر الأول من البيت الثانى بصيغة مختلفة : سقانى مثل ما يشرب ٠٠ يراجع ص ٥١ من الأعمال الكاملة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولقد أشار ماسينيون إلى الدلالة الشديدة التركيز لهذه الرباعية التى تمثلها الحلاج ويرى إن الحلاج هنا يحدد سابقة عظيمة وهو يخاطر بنفسه ليعلن أمام الله حبه الرجولى وهو الحب ذاته الذى تفشى عند الصوفية اللاحقين كمقام من أهم المقامات، وأُعتبر رائداً بمجموعة من الأفكار الأفلاطونية لمفهوم تماثله مع العرض السرى الرجولى لآدم قبل خلق حواء، ذلك الحب المطلق لغير النوع الإنسانى، إلاَّ أن تضحية الحلاج تضحية بالجمال النموذجى للرجل فى هذه الصورة الإلهية، ولقد صلى الحلاج ركعتين قبل الحكم عليه وفى ركعتيه أمام الموت قرأ الفاتحة وبعدها آية من سورة الشورى فى قوله تعالى عن الساعة : " يستعجل بها الذين لايؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق، إلا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد "[١٠١]، وهذا مايؤكد لنا ان الحلاج قتل ظلماً ومن هنا عده ماسينيون شهيداً للتصوف، ومن هنا أيضاً تعددت قراءاته وأختلف الناس فيه مشارب وأهواء وفرق .

٢- فى الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام :

لقد تنوعت جهود ماسينيون ما بين التصوف – كما رأينا – والفلسفة الإسلامية ودراسة فلاسفة الإسلام الأكثر جدلاً، وعلم الكلام والفرق الإسلامية الأكثر زخماً فى الفكر الإسلامى من سنة وشيعة وأشاعرة ومعتزلة وإسماعيلية وغُلاة وقرامطة ونصيرية وغير ذلك، وأهتم ماسينيون بداية بالقرآن الكريم Le Coran والأخلاق والروح كما أهتم بمصادر التوارة والكتب السماوية، وإعتمد عليها فى إرتكازه حول دراسة الإسلام، وسيدنا إبراهيم (عليه السلام) وهو فى نظره أبو كل المنبوذين عن طريق سيدنا إسماعيل (عليه السلام) من خلال مفهوم الضيافة المقدس[١٠٢]. L'Hospitalité Sacrée، كما أهتم ماسينيون بحياة سيدنا محمد (ﷺ) ومهمة النبوة المقدسة والوحى، ولقد أقر بوحى الله المنزل على سيدنا محمد (ﷺ) بالقرآن الكريم، وكان يرى ان الإسلام دين حقيقى وله دور مهم فى تاريخ الوحى، وليس بأوليائه فحسب[١٠٣] . ويقرر ماسينيون فى البداية الطريق الذى أختاره لبدء دراسة تاريخ الفلسفة العربية، والذى يتمثل فى ذكر المقولات العقلية والأسماء الكلية والمعانى العامة والأحكام وتحديد معانيها على مر الدهور[١٠٤].. إلخ . وتحدث عن الروح والعقل والعلة والمادة ونظرية النشوء والإرتقاء،

---

101)) سورة الشورى : آية : ١٨.

(102) L. Massignon : L'Hospitalité Sacrée .. P.13.

(103) Pierre (R.): L.M. et l'Islam ..P.49.

104)) لويس ماسينيون : محاضرات فى تاريخ الأصطلاحات الفلسفية العربية .. ص ٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد قسم محاضراته إلى رباعيات (أى ان كل أربعة محاضرات تتناول إصطلاحات مختلفة مع ذكر أهم مصادر موضوعات المحاضرات فى الشرق والغرب[١٠٥].

واتجه بنا ماسينيون إلى الحديث عن معنى الجوهر Substance وهو المقولة الأولى من مقولات ارسطو، وبه تقوم الأعراض والكيفيات ويقابل العرض والقضايا المنطقية وتحليل كتاب العبارة لارسطو، وفى إصطلاحات المنطق وتاريخ المقولات العشرة والمقولات الخمسة، وامتدت دراسته لمصطلحات المنطق الرياضى ومعنى العدد والفضاء والدهر والمكان والزمان، وحلل الفضاء الأقليدى (إقليدس) وإنتصار لوباتشفسكى (١٨٥٦/١٧٩٣م) Lopotchewsky العالم الرياضى الروسى ورائد الهندسة اللاقليدية، ومسألة إنقباض الدهر فى ميخلسون (ألبرت إبراهام) عالم طبيعى أمريكى له تجارب على قياس سرعة الضوء (ت ١٩٣١م)[١٠٦] . وقد رجع ماسينيون ايضاً - وهو بصدد الحديث عن الفلسفة العامة إلى الإصطلاحات الفلسفية والموسيقية - لرسائل إخوان الصفا[١٠٧]، وأثناء تناوله قضايا فلسفية مثل الطبيعة والوجود عاد للفلسفة اليونانية ومنابعها الأولى عند طاليس أول فلاسفة اليونان، إلى أن وصل إلى أرسطو المعلم الأول والعلل الأربعة عنده، ثم عن ابن رشد أشهر فلاسفة الإسلام عقلنة وتنوير، وعرض لمعانى الطبيعة عنده وعند الغربيين من أمثال أسبينيوزا وقوانين الطبيعة والوجود عنده[١٠٨]، وأفاض ماسينيون فى دراسة شخصية سليمان الفارسى عارضاً لنا البواكير الروحية الأولى فى الإسلام وخاصة فى إيران، كما كتب دراسة عن المباهلة بين النبى (ﷺ) ونصارى نجران كأول محاولة للحوار بين الإسلام والمسيحية، ويقرر ماسينيون أنه فى

---

105)) المصدر السابق : ص ٧، ٨ (ومن المصادر الهامة التى أعتمد عليها ماسينيون نجد رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ومفاتيح الغيب للخوارزمى، وما بعد الطبيعة لابن رشد وغير ذلك من مؤلفات الفلاسفة وعلماء الكلام، بالإضافة إلى كتب الصوفية الذين أسسوا تقريباً – علم الإصطلاحات مثل كتاب التعرف على مذهب أهل التصوف للكلاباذى، وكشف المحجوب للهجورى، وكتاب الشطحيات لروزبهان البقلى، والكشاف للتهانوى، والنجاة لأبن سينا ..إلخ. – راجع : ص ١٢، ١٣).

106)) المصدر السابق : هامش ص ٤١.

107)) أخوان الصفا وخلان الوفا : الرسائل – عُنى بتصحيحه خير الدين الزركلى – أربعة أجزاء فى مجلدين – دار صادر – بيروت – لبنان – ١٩٤٩م – ج١ – ص٨٤ (ولقد كتبت بإفاضة عن إخوان الصفا وخلان الوفا ومصطلحاتهم، وعن الحدود والرسوم الفلسفية لديهم– أنظر فى ذلك : د. صابر أبا زيد : فكرة الزمان عند إخوان الصفا – دراسة تحليلية نقدية – تقديم د. عاطف العراقى – مكتبة مدبولى – الطبعة الأولى – ١٩٩٩م – ص ١١١ وما بعدها).

108)) لويس ماسينيون : محاضرات فى تاريخ الإصطلاحات .. ص ٥٢، ٥٣، وبخصوص الوجود ووحدة الوجود – راجع ص ١٤٥ – ١٥٠، وعن معانى الهيولى والصورة – راجع ص ٥٢، والحياة والنفس والأحوال وقوى الحياة – راجع ص ٦٩-٧٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البحث عن العدالة بين الناس يتم توكيد الحقيقة بأساليب ثلاثة : إما بالقسم أو المباهلة أو بالإستدلال اليقينى أو بالإلتجاء التحكمى إلى العمل . وقد كان قديماً ما يسمى بالقسم التطهرى . وفى الجماعة الإسلامية شعيرة خاصة بالملاعنة الشرطية المتبادلة تسمى " المباهلة " ولقد بحث ماسينيون عنها وعن كيفية ادائها واصلها القرآنى والظروف والنتائج التاريخية التى حدثت فيها وعنها وعن الرمز الذى تعنيه من الناحية الدينية[١٠٩]، ولقد ذهبت الفرق الكلامية مذاهب عدة بخصوص الإلتجاء إلى المباهلة.

أ – المباهلة فى القرآن والإسناد والفرق :

يذهب ماسينيون إلى ان المباهلة شعيرة وتسمى باسمين مختلفين مأخوذين من الجذر " بهل " وفى العبرية بمعنى أرهب وفى السريانية بمعنى هدأ، وفى العربية بمعنى لعن ووفقاً لكونها دعاء لفرد واحد فتسمى إبتهالاً (الصيغة الثانية للجذر) أو ملاعنة متبادلة فتسمى مباهلة (الصيغة الثالثة) والإبتهال عبارة عن رفع اليدين ممدودتين فوق الرأس أو الخلف والراحتان موجهتان إلى الوجه[١١٠]، وعن كيفية الأداء يذكر ماسينيون ان المباهلة كانت فى الأصل تتكون من ثلاث عمليات : إستهلال وهو (الجثوّ) وذلك ان يجلس المرء على ركبتيه ويضم يديه متهيئاً للنهوض من أجل معارضة الخصم، ثم (تشبيك) وفيه يشبك الطرفان يديهما اليمنيين، ثم العملية الثالثة (رفع) اليدين إلى السماء مع تنحية الأصابع والنطق بالصيغة وهى صيغة المباهلة – كما وردت فى القرآن الكريم وهى التى نطق بها النبى (ﷺ) فجعل علياً والحسن والحسين وفاطمة بمثابة بدلاء عنه، يقول الله تعالى: " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين "[١١١] .

---

109)) د. عبد الرحمن بدوى : شخصيات قلقة فى الإسلام، دراسات ألف بينها وترجمها عن الفرنسية د. بدوى – ص ١٥٧ – ١٦٧، أنظر ملحق : المباهلة بين النبى (ﷺ) ونصارى نجران سنة ١٠هجرية من تأليف ماسينيون – طُبع فى ميلان Melun – ١٩٤٤م، وقد أطلق د. النشار على المباهلة صرخة الوحى الرهيبة والصلاة الإبتهالية كما أطلق عليها (قصة المباهلة)، وقد أفتتن المسلمون بها وراحوا يصورونها شيعة وسُنة فى صور متعددة – يراجع فى ذلك : نشأة الفكر .. ج٢ – ص ٩١.

110)) لويس ماسينيون : المباهلة .. ترجمة د. بدوى – ضمن كتاب شخصيات قلقة – ص ١٦٠، ونلحظ إعتماد ماسينيون على مصادر عديدة من أمثلة : عيون الأخبار لإبن قتيبه – ج٢ – ص ٢٨٣، وبحار الأنوار للمجلسى – ج٣ – ص ١٠٧.

111)) سورة آل عمران : آية ٦١، ولقد أخطأ ماسينيون ومترجمه د. بدوى فى رقم الآية، وذكرا إنها الآية ٥٤ والصحيح الآية ٦١، كما أثبتنا من خلال النص القرآنى، وذكرا أنها تتلوا مباشرة الآية التى تؤكد إن عيسى (عليه السلام) خلقه الله من تراب مثل آدم، والصحيح إنها الآية التى تسبق آية ٦١ حيث يقول الله تعالى : " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، الحق من ربك فلا تكن من الممترين "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمؤرخون والمفسرون بين شيعة وسُنيين قد أجمعوا على ان هذه الآية تتعلق بالمناقشة التى دارت بين محمد (ﷺ) وبين نصارى نجران سنة ١٠هـ /٦٣١م. وان الخمس رهائن التى أعلنها بقولة من بين اهله كما يقول ماسينيون كانوا : الحسن والحسين (= ابناءنا) وفاطمة (= نساءنا) وعلى ومحمد نفسه (= أنفسنا)[١١٢]، ولقد صاحبت دعوة المباهلة ارهاصات لأمور سياسية وعقائدية كثيرة وجدل واسع دار بين الفرق حول مشروعيته والإلتجاء إلى المباهلة مشروع عند أهل السُنة وإستند ماسينيون على حديث ابن عباس الذى ورد فى تفسير الألوسى . ولكنه لم ينظم وتعرض لها الحنابلة فى مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ولجأ إليها الفقيه ابن تيمية بدمشق ضد الرفاعية فى مجموع الرسائل والمسائل، وعند الشيعة نجد كتب الفقه تعالجها فى باب خاص وتحدد مراسمها عند الكلينى فى { الكافى } والقاضى النعمان فى { الدعائم }، ويرجع ماسينيون السبب الرئيسى فى تشريع المباهلة عند الشيعة لأنهم يجدون فيها – وهم الفرقة التى يسود فيها نظام الأمراء – الوسيلة الوحيدة لإرغام اخوانهم فى الدين من الفرق الأخرى على الأعتراف بهم وصحة ما يذهبون إليه .

أما الدروز والنصيرية فهما ينسبون المباهلة إلى سلمان الفارسى من خلال الدور القضائى المنسوب إليه كمنفذ لعقوبات الله، وإنه يجب على المتلاعنين ان يمسكا السلسلة ذات السبعين حلقة فى قبة السلسلة (الصخرة) بالحرم الشريف فى القدس، لأن هذه السلسلة ترمز إلى سلسل (الأسم الغنوصى لسلمان) الذى يعد فى نظرهم حكماً أعلى على محمد (ﷺ) فى مباهلة المدينة عندما دعا محمد (ﷺ) عند مقبرة البقيع بالمدينة وفد نجران من النصارى إلى المباهلة فى المكان المعروف باسم الكثيف الأحمر، وأشتهر فيه ٣٥٩هـ باسم جبل المباهلة، ويذكر ماسينيون ان فيه تمت حينئذ الخطبة (فى الحج) للمطيع ضد الخطبة الفاطمية فى المسجد الحرام، وقدم لنا إسناد الرواية لتصل إلى ثلاثة روايات موجزها ان رؤساء المسيحيون فى الميعاد المحدد للمباهلة جاءوا ليعلنوا تخليهم عنها، وقبلوا شروط الجزية وان يكونوا جوار الله وذمة الرسول (ﷺ)، وعلى كل حال فقد تركت المباهلة وزخمها التاريخى والعقدى ما يسمى بالرمزية الدينية، وجعلت الشيعة منها عيداً للتبنى الروحى للموالى[١١٣]، وهم غير العرب الذين اعتنقوا الإسلام، وأصبح لمقولة الرسول (ﷺ) لسلمان : " أنت منا آل البيت " معنى رمزياً ذات أبعاد روحية عميقة، وتقوم

– سورة آل عمران – آيتان ٥٩، ٦٠ . (يراجع ما قمنا بتصحيحه فى شخصيات قلقة فى الإسلام – ص ١٦١).

112)) لويس ماسينيون : المباهلة .. ترجمة د. بدوى – ص ١٦٢.

113)) المصدر السابق : ص ١٧٤، ١٧٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فكرة وثاقة صلة سلمان بالنبى (ﷺ) وأهل بيته إبان حياة سلمان على هذا الحديث " سلمان منا أهل البيت " إلى جانب بعض حكايات ليست بذات أهمية كما يذكر ماسينيون[١١٤]، وهذا الحديث يرويه المحدثون من أهل السُنة على أن الرسول (ﷺ) نطق به سنة (٥هـ) أثناء غزوة الخندق، وذلك ان الرسول قد أنهى المناقشة بين المهاجرين والانصار وقد تنازعوا سلمان وألحقه الرسول (ﷺ) بمواليه الشخصيين، والحديث يقوم على رواية واحدة لراو من المدينة هو كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف البشكرى (ت٨٩هـ)[١١٥] .

وأفرد ماسينيون لرمزية الطقوس الشيعية سواء الشيعة السبأية منهم كالخطابية والدروز الذين اطلقوا على سلمان اللقب الغنوصى: سلسل في صفحات عديدة فى بحثه عن سلمان الفارسى . أما الشيعة المخمسة، فالميمية منهم يرون ان سلمان هو مجرد رسول !! وان المُألّه منهم هو محمد وحده !! أما الأربعة الباقون فليسوا إلا مجرد صور له تمثل مراحل ظهوره الدورية، ففاطمة هو الهيولى النوارنية التى منها ولد، وعلى هو أوج إنتصاره وصيفه، والحسن هو أضمحلاله وخريفه، واعتمد ماسينيون فى ذلك على رسائل إخوان الصفا[١١٦]، اما العينية فيرون ان سلمان طوعاً او كرهاً قد أخطأ حين أعلن سيادة محمد بدلاً من سيادة على[١١٧] .. إلخ من الغنوصيات والهرطقات والمُغالاه التى تعف اللسان عن ذكرها والعقل عن ان يستوعبها.

ب- هل الحلاج يعد فيلسوفاً إسلامياً (رؤية ماسينيون) :

وضع ماسينيون كل من السجستانى والتوحيدى ضمن سير القديسين وهو يتحدث عن الحلاج فى بدايات الفلسفة العربية والإسلامية، وتحدث عن القاضى بن سيار والقُضاة والنحويين والمعتزلة والقاضى ابن داود، وذلك فى جزء من أهم أجزاء كتابة عذاب الحلاج تحت عنوان :

---

114)) لويس ماسينيون : سلمان الفارسى والبواكير الروحية للإسلام، ترجمة د. بدوى ضمن شخصيات قلقة فى الإسلام – ص ١٦ .

115)) المصدر السابق : ص ٢٤، ٢٥.

116)) يراجع فى ذلك : رسائل إخوان الصفا – ج٤ – ص ٣٧٨

117)) وعن تحليل النصيرية وطقوسهم – راجع : ماسينيون – سلمان الفارسى .. ص ١٧٦، ١٧٧، وعن سلمان الفارسى الباحث عن الحقيقة والصورة المعتدلة له طبقاً لأهل السُنة والجماعة، أنظر فى ذلك : خالد محمد خالد – رجال حول الرسول – دار ثابت للنشر – القاهرة – طبعة أولى – ١٩٨٤ – ص ٢٠-٦٤. وأنظر أيضاً.. د. على سامى النشار – نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – ج٢ – الطبعة الثالثة – دار المعارف بمصر – ١٩٦٥ – ص ٢٥٧ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

La prise en considération de Hallâj et de ses sentences par philosophes musulmans.

وتحدث من مكانة الإنسان وكيفية إتحاده بالله، والأزلية الأرسطية ونصوص الفلسفة اليونانية التى تأثر بها التوحيدى، وقام بتحليل كتاب الصداقة والصديق وبحث مشكلة اخوان الصفا والبيرونى وتلاميذ الشبلى، ومنهم الحلاج الذى كان صديقه أيضاً . وأورد أيضاً العلاقة بين الصوفى سعيد بن ابى الخير والفيلسوف الكبير ابن سينا والإسنادات الفلسفية للحلاج وماسينيون وضع الحلاج أمام الفلسفة الإسلامية بشكلها الهللينى وتحديداً ابن رشد وابن سينا كأشهر فلاسفة الإسلام .

Hallâj deveant l'hellénisme philosophique musulman: Avicenne et Averroés.

الأول يمثل الفلسفة العقلية والثانى يمثل الفلسفة الطبيعية، وكيف ان الثانى قام بتعريف الفلاسفة ونقد النص الداخلى للنصوص الحلاجية، وان القول بالوحدة كفر صريح، وسرد لنا المقولات العشرة والعلل الأربعة ومنطق (الهو هو) فى مقابل منطق الأغريق[١١٨]. وتحدث ماسينيون فى هذا الجزء عما أسماه بآثار الحلاج la survie de Halliâj (أى ان الحلاج باق فى نظر ماسينينون بأعماله وتلاميذه ومدرسته الصوفية ومريديه، وسنجده فيما بعد يُعد جدولاً للحلاجية)، وذكر بعض الفلاسفة الصوفية الذين تأثروا بطريق مباشر أو غير مباشر، ثم عرض فى جزء آخر من الكتاب سيرة القديسين الحلاجية وعقائدهم والأزدهار الأدبى لديهم من منطلق ان هناك من أقام للحلاج وزناً ودرس نصوصه وشرحها وأغلبهم من فلاسفة الإسلام من أمثال : السجستانى والتوحيدى وابن رشد وابن سينا وابن سبعين والسهروردى المقتول، ويذكر ماسينيون ان أول فلاسفة الإسلام من الذين قاموا بشرح وتوضيح النصوص الحلاجية هو ابو سليمان السجستانى (ولد فى ٣٠٧هـ ومات حوالى ٣٨٠هـ) وفى نفس الوقت والعصر كان القاضى بن سيار (٣٥٠هـ).

وجدير بالملاحظة – كما أشرت من قبل - هو فى الأساس منهجه فى المصدر الإلهى وقيمة الوحدة والإجتماع فى الصداقة بين المحبين. de l'amitié entre deux âimes

(118) L.M. : la passion – To.2. P. 429.
وفى ذكر السهروردى المقتول، أنظر ص ٤٣٤/٤٣٥، وعن ابن سبعين الصوفى، أنظر ص ٤٣٦/٤٣٧ بنفس المصدر٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولقد ظهر للسجستانى رؤية واضحة جلية فى الوسط الإسلامو - مسيحى Islamo - Chrétien من خلال النساخ والكتاب حيث القُضاة والنحويين المعتزلة الذين أجازوا المناقشة وتفسير النص (مثل القاضى ابن ابى داوود) ومن السالمية الصوفية أيضاً والمعتمدة على فلسفة الحب الإلهى والروحى، وفى مقاله (فى الكمال الخاص للإنسان) السجستانى قال بجرأة إن القداسة جديرة بمكان الإنسان وهو متحد بالله (فكرة الأتحاد)، وقد لاحظ إن فرقة الصوفية أجازوا الإتحاد والحلول وخاصة السالمية المحفوفة بالمخاطر Salimiya comme périlleuse[119]، أما عن التوحيدى فيذكر ماسينيون المحاورات المنسوبة إليه فى كتبيه عن الصداقة l'Amitié)) كما أوضح لنا كيف شرح السجستانى النص الأزلى لأرسطو على التوحيد الذى تحقق بالإتحاد وقوة الإرادة والمشيئة بين الأرواح المتصادقة بواسطة نصوص ابن عطاء الله السكندرى، والواحد الحق عند الحلاج وكتابات ابن عطاء – فى وجهة نظر ماسينيون – تفضى إلى التوحد فى الله أو الحب فى الله Amitié en Dieu ونعود إلى التوحيدى ونرى ان ماسينيون وهو بصدد الأشارة إلى كتاب الصديق والصداقة (أو رسالة الصداقة) يوضح ان التوحيدى إستشهد ببيتين من أشعار الحلاج، وكذا تأثر بعض المعتزلة بالحلاج، وقدم ماسينيون أسماء بعض شخصيات إخوان الصفا مثل زيد بن رفاعة الهاشمى (ت ٣٧٢هـ) والبيرونى تلميذ الشبلى وصديق الحلاج كتأكيد على بقاء الحلاج بآثاره . ويذكر ان البويهيين أشاروا بدقة مقدمة الحلاج بالاسم Nominativement وليس بالنقد الداخلى فقط – بصرف النظر عن مقالات التوحيدى فى العقائد والفلسفة والتصوف، كما ان للتوحيدى رسالة تسمى " الحج العقلى إذا ضاق بك الحج الشرعى " يشبهها ماسينيون ببعض كتابات الحلاج الصوفية وتلاميذ التوحيدى من أمثال ابو شجاع (٥٠٩هـ) وتحدث ماسينيون عن العلاقة بين الصوفى سعيد ابن ابى الخير والفيلسوف الكبير أبن سينا كما ذكرنا من قبل، وان هذه الاتصالات كانت تحت رعاية القاضى عبد الجبار الهمدانى المعتزلى، صاحب المُغنى . وأشار ماسينيون إلى التناغم والإنسجام بين قطبيين من أقطاب الصوفية (إبن سبعين والشتشترى) وربط ذلك فلسفياً بالحلاج Hallâj Philosophiquement[١٢٠] à تأكيداً على بقاء الحلاج فى كتابات الفلاسفة والصوفية، وقد قدم لنا ماسينيون قائمة للتلازم بين العناصر الكلامية والعروض الفلسفية مركزاً على الإمامية قبل القرن الرابع الهجرى ووضع العناصر أمام علم الكلام من ناحية والفلسفة من ناحية أخرى كدراسة مقارنة .

(119) Ibid : (la prise en considération de Hallâj et de ses sentences par les Philosophes Musulmans. PP. 429-430).
(120) Ibid : PP. 430-432.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة التلازم بين العناصر الكلامية والعروض الفلسفية
أعمال الإمامية والهللينسنية قبل القرن الرابع الهجرى[١]

م	العناصر	علـــم الكـــــلام	الفلسفـــة	ملاحظات
١	الفعل	قديم – حديث	واجب – ممكن	تأثير ارسطى
٢	الأجساد	جوهر فرد	التعيُّن – (المادة + الصورة)	الجزء الذى لايتجزأ
٣	الجواهر	ما ليس فى محل (مكان)	ما ليس فى مدة (زمان)	خلال المجردات
٤	الاحساسات	الذاتية / الفردية	مزاج الأجسام[٢]	من الحركات
٥	الافكار	الذات المباشرة	توليد، حاصل الصورة	مثل التل والأرض
٦	الايدى – اللانهائى	المنفصل –بلا عرض– عرض	تناسخ – تسلسل[٣] – اشراق – استمرار[٤]	ابو هشام – النظام – معتزلة
٧	الكليات	نفى المقادير- ادوار واكوار– افلاك طبائع– مقالات – اشخاص	إثبات المقادير	ارسطو – اخوان الصفا فيما بعد
٨	الشخص الانسانى	هياكل مفتعلة – نفى الحياة[٥]	روح – الأرواح المادية	تصوف السهروردى
٩	الحس الداخلى	عقل=٦٠ حاسة فقط	عقل، ٥ حواس داخلية[٦]	الحس المشترك
١٠	نشأة الكون	تجويز – محبة	عدل – عناية آلهية / ازلية	تأثير يونانى
١١	التزام شرعى/ قانونى	فرض – حرام	واجب – معزور (للعقل)	فلسفة القيم
١٢	النبوة	تأديب، تأنيب الأنبياء	تصفية (القلوب) – استعداد (نفسى)	(للمعجزة)
١٣	الإمامة (الإمام)	مؤمن سليم وصحيح	الأفضل – المعصوم (العصمة)	من أخطر قضايا الشيعة)
١٤	البعث	حشر جسمانى	معاد روحانى	المعاد لدى المتكلمين فى الاسلام

تحليل القائمة : (ملاحظات القائمة السابقة من عندنا)

١- يذكر ماسينيون ان العناصر التى اعتمدها وتبناها الحـــلاج كانـت فـى العـصر الإيطالى (هامـش ص ٨٠ - la doctrine de Hallâj) - ولعـل المقصود أنهـا كانت ضمن اطروحات فلاسفة اليونان فى العصر الهللينستى واستمرت مـع فلاسـفة ومتكلمى الإسلام المتأثرين باليونان .

٢- تبناها الجهم (بن صفوان) والعبيـدية وهشـام والنظـام (مـن المعتزلـة) وابـن كيسـان (الكيسانية) والظاهرية ! ورغم رجوع ماسينيون إلى كتاب الفرق بين الفرق إلا أن هناك بعض الخلط بين الفرق الإسلامية عنده.

٣- ابن سينا أجاز اللانهائى بالقوة (فى مقابل الفعل) بشكل مضمر ويحيلنا ماسينيون إلى التعريفات للجرجانـى بخصوص البراهين والحجج ضد الذرية (مذهب الجوهر الفرد - مذهب الذرة القائل بان المادة مؤلفة من جواهر فردة وأن الأجسام تتكـون وتفـسد بإجتماع هذه الجواهر وأفتراقها).

٤- اجازه كل من النُظام وهشام (من المعتزلة).

٥- إثبات الحياة بحسب العبيدية (من المعتزلة).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦- هذه الحواس الخمسة الداخلية تكون :- " Réunit toutes les impressions "

أ - الحس المشترك (تآلف جميع الإنطباعات)

ب- الخيال (العمل بالإحساسات : معرفة أماكن الاحساس).

ج – الوهم (إدراك حسى للمعانى الخاصة) للعقل المقوم والمقدر للأشياء .

د – الحافظة (ذكرة الحس الوضعى).

هـ – المتخيلة (العقل المنفعل) = المنصرفة (مؤلف × مفصل – مركب × مفكك)

فى التومائية (نظرية توما الأكوينى اللاهوتية والفلسفية)، ويذكر لويس ماسينيون ان هذه النظرية لاتوجد فى الحواس الأزلية السابقة)[١٢١].

بعد أن قدمنا تحليلاً لقائمة التلازم بين عناصر الكلام والفلسفة، وأثبتنا تأكيد ماسينيون للجانب الإحساسى / الروحى فيما يختص بفلاسفة الإسلام أمام الحلاج .

ويجدر بنا ان نقدم ترجمة لما جاء فى كتاب Pierre عن إن ماسينيون يؤكد على إن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) تلقى من ربه علامة البشارة أمام حشد من قوميات متعددة من منطلق إهتمامه بالديانة الإبراهيمية كدين للتوحيد المبكر[١٢٢] – نقدم هذا الشكل كمقارنة بين الإسلام والمسيحية والتى قمنا بترجمتها من اللغة الفرنسية .

(121) Ibid : P.80 (CF. la doctrine de Hallâj).
وقد قمنا بترجمة قائمة التلازم وحللنا الهوامش والإيحالات .
(122) Pierre (R.) :L. Massignon et l'Islam ..P. 109.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Hospitalité Abrahmique

الضيافة الإبراهيمية

إدعاء الإبراهيمية فى العقيدة

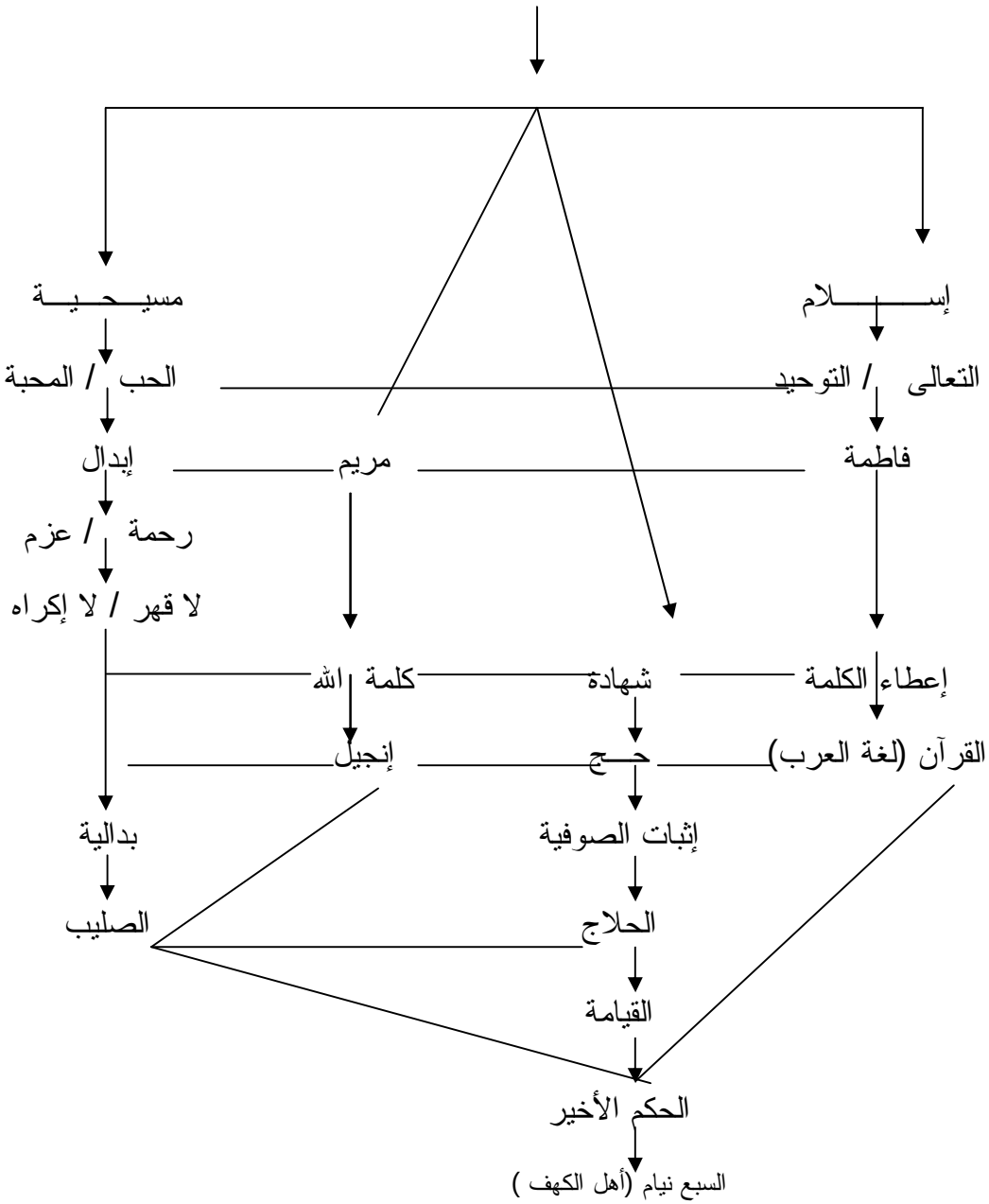

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ج- الإلهيات عند ماسينيون :

قلنا من قبل إن دراسات ماسينيون تنوعت - بخلاف الحلاج – وأمتدت من أبن عربى ومؤلفاته الكبيرة مثل الفتوحات المكية والتجليات الإلهية وغيرهما، وعز الدين المقدسى (ت ٦٦٠هـ) الذى ذكر إن آراء الحلاج كانت فى الحب الإلهى l'amour divin إلى محمد إقبال (ت ١٩٣٨م) الفيلسوف الشاعر وكيف انه لعب دوراً هاماً فى تطور الفكر الإسلامى فى الهند وباكستان، وكتابه جاويد نامة وعلاقته بكتابات نيتشه فى الغرب الألمانى، وإن اشعار إقبال فيها الكثير من التنوير والإنارة ويربطها ماسينيون بطواسين الحلاج ![١٢٣].

وقبل أن نعرض لآراء ماسينيون فى الإلهيات نعرض لأهتمام ماسينيون بالحوار والإتصال بين الشرق والغرب ونجده يقول : " فى القرن الثامن الميلادى إلتقى الإسلام – فى سوريا – مع الفكر المسيحى الشرقى من خلال عملية التواصل الثقافى بين الشرق والغرب فى المراحل الأولى للأنتشار الإسلامى فى الشام، وهذا الإتصال وصفه عالم الإسلاميات الفرنسى ماسينيون بما يسمى " تهجين الدين المنتصر مع الثقافة المغلوبة " أو المزاوجة الثقافية بين الغالب والمغلوب، حيث يلاحظ ماسينيون تأثير الفكر المسيحى الفلسفى فى أطروحات علم الكلام الإسلامى الأول (المبكر) وفى أساليبه الإقناعية ويتجلى ذلك التأثير فى المناظرات الكلامية / الجدلية التى سلكها الجهميون والجبريون والقدريون حول إشكاليات كثيرة تمس الإلهيات من قريب أو بعيد مثل إشكالية العلاقة بين الخير الإلهى (التسيير) وحرية الإختيار الفردى (التخيير) فى الحركة الزهدية الإسلامية[١٢٤] (التصوف) والذى كرس ماسينيون أغلب حياته لدراسته متمثلاً فى الحلاج وكل من ظهر فى عصره.

قام ماسينيون بداية بشرح معانى الإله (لفظاً وإصطلاحاً) وبكل اللغات وعند النحويين من العرب ومذاهبهم الكبيرة فى إشتقاق اسم الإله، وكيف ان هذا الأصطلاح "إله" أصل علم الإلهيات، أى علم ما بعد الطبيعة la métaphysique وبيَّن إعتراضات الرياضيين على إستقلال علم الطبيعيات وإعتراضات الطبيعيين على إستقلال علم الحياة وإعتراضات الأطباء على إستقلال علم الأخلاق الإجتماعية، ويقول : "

(123) L.M.: La passion, CF. PP. 420-425.
(124) L.M. : Essai sur les origines du lexique technique de la mystique Musulmane- Paris – 1920 – P. 53.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لذلك يلزم الآن أن نفهم إعتراضات العلماء على إستقلال علم الإلهيات ولو إن ذلك مقبول عند أكثر المتكلمين من النصرانية والإسلام مثله مثل مقدمة ومدخل للوحى والإلهام"[١٢٥].

ويذهب ماسينيون إن أركان علم الكلام مؤسسة منذ زمن أفلاطون وأرسطو وعندهما هى علم الصفة الإلهية ومعناها صفة مبدأ أول متعال على المادة Premier principe Transcendantal، وعن الأكوان، وهذا قريب من معنى الخالق فى الأديان، وعاد بنا ماسينيون إلى زينون الإيلى (صاحب مذهب الوحدة المطلقة فى الوجود) وقدم لنا إعتراضات زينون وكانط Kant، وبراهين زينون الأربع المشهورة، وكذلك زعم كانط إن وجود علم لما بعد الطبيعة محال، وإن العالم إما قديم أو حادث (فى الزمان)، وإما محدود وإما غير متناهى (فى المكان)، وأجزاء العالم إما قابلة للتجزئة إلى مالا نهاية وإما ذرات لاتتجزأ، وتسلسل العلل إما متوالى وإما منقطع (مسألة حقيقة حرية إرادة الخالق والمخلوق)، وزاد عليها فى مسألة مناقضة العقل العملى، وأوضح ان هذه المشكلة من أهم المشكلات الفلسفية، وقد زعم بعض الفلاسفة إن فيها تحقيق تنازع خفى فى تشغيل آلة الفكر نفسه من الضروريات المحفوظة فى العقل الفعال والممكنات المدركة بالعقل المنفعل أى بين العقل والفهم Raison - entendement، ونرى ان كانط هنا متأثر بالفيلسوف أرسطو .

وتطرق ماسينيون إلى نظرية الجزء الذى لايتجزأ، وأكد ان العقل له أن يفترض التناهى، والفهم يوحى بإمكان إستمرار التجزئ، وتحدث عن تجديد الأشاعرة لمذهب ديمقُرطيس فى الجزء الذى لايتجزأ، وفى الآن الذى لاينقسم، وبين لنا كيف إن ابن سينا الفيلسوف الإسلامى الذى عده ماسينيون خصماً للأشاعرة – رجع إلى براهين هندسية تخالف ذلك المذهب، وهى مشهورة فى المصطلح الفلسفى ببرهان الموازاة والمفروض فيه اللانهائية فى الزمان[١٢٦] (أى الزمان الممتد)، ومن منطلق إن أهم مباحث الإلهيات فى الفلسفة الإسلامية والعربية هو البرهنة على وجود الله .. فماذا كان موقف ماسينيون من هذه المشكلة ؟

---

125)) ماسينيون : محاضرات فى تاريخ الإصطلاحات الفلسفية العربية .. ص ١٣٨، أنظر أيضاً: تعليق د. زينب محمود الخضيرى – ص ١٣٨ (هامش) .

126)) المصدر السابق : ص ١٤١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

د- البراهين على الوجود الإلهى :

يؤكد ماسينيون على إن البراهين على الوجود الإلهى تأتى من العقل فقط، وفى نظر الفلاسفة إن علم الوجود الإلهى من الضروريات . ويحيلنا إلى كتاب دلالة الحائرين لإبن ميمون (الفيلسوف اليهودى) لتدقيق طرق البراهين، وكنا ننتظر من ماسينيون ان يرجع إلى كتاب من كتب فلاسفة الإسلام وليكن ابن سينا أو ابن رشد، وقدم لنا ماسينيون أربعة براهين على الوجود الإلهى نعرضها بشيئ من التحليل :-

البرهان الأول: برهان حدوث العالم (من القياس) ويقول أرسطو مخترع هذا البرهان إن كل تغيير له علة وسلسلة علل الحوادث ظاهرة لكل سلسلة من الترتيب إلى أن نصل إلى الله وهو العلة الفاعلة الأولى، وقد إنتقد ذلك – كانط فى الفلسفة الحديثة، وكان الإمام الغزالى فى الفكر الإسلامى فى كتابه المُشكاة يقول إن الله منزه عن ان يكون العلة الفاعلة الأولى بل هو منزه عن كل تكليف . ولعله يقصد ان الله تعالى خالق أول .

البرهان الثانى : برهان الكمال (من الإستقراء) وهو مبنى على حد واجب الوجود، ولم يذكر ماسينيون أى فيلسوف إسلامى عند تحليله، ولكنا نرى ان هذا البرهان قريب من برهان ابن سينا الذى تأثر بأرسطو .

البرهان الثالث: برهان العلة الغائية، أو برهان تآلف الكون وهو مأخوذ من الرواقيين، ولعله يقصد به حسب إعتقادى جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا أيضاً .

البرهان الرابع : برهان الأدب أو الأخلاق Morale وهو برهان غير مقبول عند الحكماء لأنه فى الوجدان الشخصى بدون قياس ولا إستقراء . ولكنه مقبول عند كانط ومذهب أهل الكمون وعند الصوفية وأصحاب الإلهام والذوق، وهذا البرهان ناقص وقد قيل إن مستعمليه من المتكلمين مثل الغزالى ليسوا بعلماء فى علم الإلهيات بل هم روافض أهل الإرتياب !! وإستند ماسينيون إلى ابن طفيل فى مقدمته لقصة حى بن يقظان وكذا ابن رشد فى الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة، أما العمليون النفعيون pragmatistes فلا حاجة عندهم إلى برهان عقلى، والبرهان الكافى لديهم هو الإستعمال كما قال Jamas Henry Laiba (ت١٩٤٦م) : .. ولو إن الله غير معروف فهو مستعمل ..[١٢٧].

---

127)) المصدر السابق : ص ١٤٣. وجاءت الترجمة فى الهامش بالإنجليزية على النحو التالى :
God is not known , he is used .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويواصل ماسينيون الكلام عن الإلهيات فى موضع آخر من كتابه، ويذكر ان المذاهب الثلاثة فى معنى الوجود حسب الحكماء فى إن للموجودات حقائق متكثرة بأنفسها فهناك مفهومات ثلاثة :-

أ – مفهوم الوجود العام(ماهيات + موجودات) .

ب-مفهوم الوجود الذاتى وهو خارج عن الموجودات الخاصة .

ج- مفهوم الوجود الخاص، عين الذات فى الواجب تعالى وذاته خارج فيما سواه.

أما مذهب الأشاعرة : إن للوجود مفهوماً واحداً مشتركاً بين الموجودات، وهو يتكثر ويصير حصة حصة بإضافته إلى الأشياء.

ومذهب الصوفية : (الوجودية) إن مفهوم الوجود العام زائد على حقيقة واحدة مطلقة موجودة، هى حقيقة الوجود الواجب تعالى، وهو أمر إعتيادى غير موجود إلا فى العقل ومعروضه موجود حقيقى خارجى هو حقيقة الوجود.

وذكر ماسينيون مذهبان فى مسألة براهين وجود الواجب تعالى وإثبات الصانع لله تعالى :-

أ- طريق الأشاعرة وعدد خمسة عشر طريقة من أمثلة : طريق التجويز، وطريق التخصيص، وطريق التمانع الذى تمسك به الباقلانى وبحقيقتها، وما يسمى دليل التمانع فى المدرسة الرشدية أيضاً.

ب- طريق الحكماء[١٢٨]، وهذا ما قدمناه من قبل.

أما عن نظرية وحدة الأديان : والمنسوبة إلى الحلاج (لكل عهد وثيقة) وإلى عبد القادر الجيلانى (ما فى المناهل منهل مستعذب، الأولى فيه الألذ الأطيب)، وإلى ابن عربى (عقد الخلائق فى الإله عقائداً وأنا إعتقدت جميع ما أعتقدوه)، ولكن الإمام الغزالى وابن تيميه رد عليهما فى مؤلفاتهما المعروفة منتصران للمذهب السلفى ضد أى تيار مغالى، ومن المعلوم ان ماسينيون ينادى بنظرية وحدة الأديان فى أغلب مؤلفاته.

128)) المصدر السابق : ص ١٨٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com